الزمن فى شعر أبى تمام

دراسة موضوعية وفنية

إعداد الدكتور

عاطف عبداللطيف السيد

أستاذ الأدب والنقد المساعد

بكلية اللغة العربية بالزقازيق

بسم الله الرحمن الرحيم
مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه والتابعين . . وبعد

فللزمن صلة وثيقة بحياة الإنسان ، وهذه الصلة هى ما تسمى بالمراحل الزمنية فى حياة الإنسان ، تلك المراحل التى تحدث عنها القرآن الكريم فى آيات منها قوله تعالى (الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير)[1] وقوله تعالى (هو الذى خلقكم من تراب ثم نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً)[2] ، فالإنسان يولد طفلاً ثم يبلغ أشده ، ثم يشيب شعر رأسه، ثم يصيبه الكبر فيكون شيخاً.

وإذا كانت هذه المراحل الزمنية وتلك التغيرات الجسمانية والمعنوية مهمة للإنسان بصفة عامة فإنها تكون أكثر أهمية لدى الشعراء وبخاصة عند شاعرنا أبى تمام ، الذى تناول الزمن ومفرداته فى شعره تناولاً ينم عن اهتمامه به ، ومرد هذا الاهتمام يعود إلى رأيه فى نظم الشعر وذوقه فى اختيار الأوقات له ، فيقول فى وصيته للبحترى " يا أبا عبادة ، تخير الأوقات وأنت قليل الهموم ، صفر من الغموم ، واعلم أن العادة جرت فى الأوقات أن يقصد الإنسان لتأليف شئ أو حفظه فى وقت السحر ، وذلك أن النفس قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم . . . "[3] فأبو تمام أوصى بما تصفو به النفس ، ويلطف به الحس، ويستيقظ به الوجدان ، ويدعو إلى الإجادة والعناية وحسن النظم والتأليف .

وانطلاقاً من هذه العناية وذاك الاهتمام يأتى هذا البحث عن الزمن فى شعر أبى تمام ، دراسة موضوعية وفنية ، محاولة للكشف عن فلسفة

---

(1) سورة الروم آية ٥٤ .
(2) سورة غافر آية ٦٧ .
(3) الشعر والشعراء لابن قتيبة ت ـ د/ مفيد قميحة دار الكتب العلمية بيروت ص٢٤.

الزمن عند الشاعر ، تلك الفلسفة التى جاءت ضمن الوعى المضطرب بالزمن ، وبيان قدرته الفنية فى التعبير عنه ، وإبداعه الدقيق فى تصويره، ودقته فى استخدامه ومفرداته فى موضوعات شعره وبنائه الفنى .

ومن ثم كان البحث الذى يشتمل على مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع ، أوجزت فى المقدمة التعريف بموضوع البحث وسبب اختياره ، وعرضت فى التمهيد لمحة موجزة عن حياة أبى تمام .

وفى المبحث الأول : تحدثت عن مفهوم الزمن ومفرداته فى شعر أبى تمام .

و فى المبحث الثانى : تحدثت عن مراحل تحول الزمن فى وجدان أبى تمام .

وفى المبحث الثالث : تحدثت عن الزمن وموضوعات الشعر لدى الشاعر .

وفى المبحث الرابع : تحدثت عن الزمن والبناء الفنى فى شعر الشاعر.

ثم أتبعت ذلك بخاتمة لخصت فيها أهم نتائج البحث ، ثم ذيلت الخاتمة بقائمة للمصادر والمراجع التى اعتمدت عليها فى البحث .

وأملى كبير فى العلى القدير أن تكون هذه الدراسة قد كشفت عما يتمتع به شعر أبى تمام من نواح جمالية وفنية و ما حظى به الشاعر من مكانة سامية فى ميدان الشعر العربى وذلك من خلال الحديث عن الزمن ومفرداته فى شعره ، ولا أدعى بهذه الدراسة الكمال فالكمال لله وحده ، ومن الله نستمد العون والتوفيق ، والحمد لله أولاً وآخرا .

الدكتور/عاطف عبداللطيف السيد أحمد

أستاذ الأدب والنقد المساعد

بكلية اللغة العربية بالزقازيق

تمهيد
لمحة عن حياة أبى تمام(*)

أبو تمام هو حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشج بن يحيى بن مروان بن مر بن سعد بن كاهل بن عمرو بن عدى بن الغوث بن جلهمة (و جلهمة هو طئ) بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن يشجب بن يعرب بن قحطان : الشاعر الأديب ، أحد أمراء البيان .

اتفقت الروايات على أنه ولد فى أواخر القرن الثانى الهجرى ، واختلفت فى عام مولده ، فقيل إنه ولد فى عام ١٧٢هـ وقيل ١٨٠هـ وقيل ١٨٢هـ وقيل ١٨٨هـ وقيل ١٩٠هـ ، وقيل ١٩٢هـ ، وبعض الروايات تقول إنه قال ولدت في سنة ١٩٠هـ (٨٠٦ م) وبعضها تقول إن ابنه يقول إن مولد أبى كان فى سنة ١٨٨هـ وكما اختلف فى مولده اختلف فى وفاته ، فقيل إنه توفى فى عام ٢٢٦هـ وقيل ٢٨٨هـ وقيل ٢٢٩هـ وقيل ٢٣١هـ وقيل ٢٣٢ هـ .

وقال : صاحب كتاب الأغانى إن الشاعر ولد (بمنبج)، وقيل فى قرية من قراها فى الشمال السورى، وقيل فى قرية من قرى(الجيدور) من أعمال دمشق ، وقيل فى قرية من قرى دمشق ، والصحيح أنه ولد فى قرية (جاسم) بين دمشق وطبرية ، وقيل إن هذه القرية تبعد عن دمشق بثمانية فراسخ .

(*) ينظر الأعلام لخير الدين الزركلى ط الثالثة جـ٢ ص١٧٠، ص١٧١ ، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص للشيخ عبدالرحيم بن أحمد العباسى تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ــ عالم الكتب بيروت جـ١ص٣٨ ، وخزانة الأدب للبغدادى ، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٩/م جـ١ ص٣٥٦، ص٣٥٧ ، وأخبار أبى تمام لأبى بكر الصولى ط المكتب التجارى للطباعة والتوزيع بيروت سنة١٩٦٠م ص٢٦١ ، ودائرة المعارف الإسلامية ط السادسة سنة ١٤١٨هـ سنة ١٩٩٨م مركز الشارقة للإبداع الفكرى جـ٢ ص٣١٠ ــ ص٣١٧ .

وقد شغلت قضية نسبه الكثير من الأدبـــاء والنقـــاد ، فقـــال عنـــه الصولى: هو حبيب بن تدوس النصرانى فغير أوساً ، وذكر الآمدى فى الموازنة أن أباه كان نصرانيا من أهل جاسم يقال له : تدوس العطار أو العقاقيرى فجعلوه أوساً ، وقال بذلك أبو الفرج الأصفهانى فى الأغانى، والأب لويس شيخو اليسوعى ، وموجليوث الذى قال بأنه كان نصرانياً فأسلم .

وعلى الرغم من القول بنصرانية أبيه فإن أبا تمام كان شديد الفخر بطائيته وعروبته وإسلاميته ، وتبدو عصبيته لقبيلة طيئ واضحة جليـــة في معرفته بلهجاتها ، واختياراته لشعرائها فى الحماسة الكبرى ، وفـــى الوحشيات وفى اختيار ممدوحيه .

وقد بدأ أبو تمام حياته فقيراً ، فارق أبوه الـــدنيا وهـــو صـــغير ، وغادرت أمه الحياة وهو فى سن مبكرة ، وتوفيت زوجه وأولاده فـــى حياته ، ولم يبق له إلا ولده تماماً ، وقد دفعه أبوه إلى حائـــك بدمـــشق ليخدمه ويعمل عنده ، ثم انتقل إلى حمص ومدح فيها عتبـــة بـــن أبـــى عبدالكريم الطائى .

ولما كانت الأحوال مضطربة فى بلاد الشام فقد هاجر إلى مـــصر طلباً للغنى والمعرفة وحباً فى الوفادة إليها كما فعل أقرانه وأنداده مـــن الشعراء أمثال كثير عزة وجميل بثينة وعبدالله بن قيس الرقيات وأبـــى نواس، وكانت وفادته إليها فى عام ٢٠٨هـــ، وقيل فى عام ٢١١هـــ، وتقول بعض الروايات إن الشاعر وفد إلى مصر مرتين ، كانت الأولى فى عام ٢٠١هـــ ، والثانية فى عام ٢١٠هـــ .

وقد نزل مصر حائكاً فقيراً ، ثم ذهب إلى جـــامع عمـــرو يَـــسقى ويُسقى ، وكان ينتقل من حلقة علم إلى حلقة أخـــرى ، ويجمـــع مـــن محصولها شيئاً من القصص والتاريخ والشعر والفقه والحـــديث وغيـــر ذلك مما استطاع أن يحفظه ويحصله ، وقد عانى فى مصر من عـــداوة بعض الشعراء له كالشاعر المصرى يوسف السراج الذى أوغر صـــدر

عياش بن لهيعة الحضرمى عليه ، فرأى أن ينتقل إلى مدينة الإسكندرية لكنه لم يحقق فيها ما كان يأمله فعاد إلى الشام ، وتعرض بالمدح لطائفة من الناس كأبى الغيث موسى بن إبراهيم الرافقى ثم ذهب إلى خراسان واشتغل حينئذ بالتأليف والتصنيف وازدهرت قواه الشعرية فى وصف الحروب والمعارك التى كان لها دوى فى شعره ، كوصف معارك الدولة مع الروم ، ومع بابك ، والحروب التى خاضها المعتصم بالله الذى استقدمه إلى بغداد فأجازه وقدمه على شعراء وقته، فأقام فى العراق ، ثم ولى بريد الموصل ، فلم يتم سنتين حتى توفى بها .

ولم تقتصر رحلاته على مصر وخراسان بل امتدت لتشمل بلاداً كثيرة كنيسابور والحجاز وبلاد الجبل وأرمينيا وحوران والموصل ، واستطاع من خلال تطوافه بها أن يكتشف الحياة والناس وأن يكون لديه تشبع ثقافى كان له أثره فى تهذيب شعره وإتقانه فى نظمه .

ثقافتـــه

تعد ثقافة أبى تمام من المكونات الرئيسة لشعره، وهذه الثقافة ناشئة مما ساد هذا العصر العباسى من ثقافة خصبة ذات صلة وثيقة بالحضارات الأخرى غير العربية ، وتتمثل مصادر ثقافته فيما يلى :ـــ

١ـــ القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، فقد تأثر الشاعر بالقرآن الكريم ووضع نصب عينيه آياته وما تشتمل عليه من ألفاظ وأساليب بليغة وقصص قرآنى بديع ، وله نماذج كثيرة استخدم فيها المعجم القرآنى والصور القرآنية مما جعل مرجليوث يشهد له بالتدين خلاف ما رواه المسعودى فى مروج الذهب من أنه كان ماجناً قليل الدين .

وتأثر الشاعر كذلك ببعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم كقوله :ـــ

إذا لم تخش عاقبة الليالى ولم تستحى فافعل ما تشاء

فقد تأثر فيه بالحديث الشريف : " إذا لم تستح فافعل ما شئت " .

٢ــ التراث العربى شعراً ونثراً والتعمق فى الــسير والتــاريخ ، وأشار ابن العماد فى شذرات الذهب إلى أنه كان يحفــظ أربعــة آلاف أرجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع ، وحفظ شعر مسلم وأبى نواس وكان على دراية بتاريخ الفرس واليونان والرومــان والأمــم البائــدة وتاريخ العرب قبل الإسلام وبعده هذا بالإضافة إلــى محــصوله مــن الأمثال والحكم العربية والأساطير والمعتقدات الشعبية وعلوم العــصر كالمنطق والكيمياء.

٣ــ بذور الثقافة الشيعية التى تناثرت فى نتاجه الشعرى كقوله فى مطلع قصيدته التى مدح النبى صلى الله عليه وسلم وأهل بيتــه مؤكــداً على أفضلية الإمام على :

ويوم الغدير استوضح الحق أهلُه بفيحاء لا فيها حجاب ولا سر

وقوله فى الخليفة المأمون :ــ

ووسيلتى فيها إليــك طريفـــة شام يــديــن بحب آل محمد

٤ــ الثقافة الفارسية التى صبغت الحياة العباسية بألوانها المتعددة ، وهذا ما جعل الأستاذ أحمد أمين يقول فى ضحى الإســلام : إن شــعر القرن الثالث عربى الشكل فارسى المضمون ، ومن ثم كان أبــو تمــام على دراية بالأدب الفارسى والحياة الفارسية ، وكان ذا وعــى وإدراك شديد بالصراع بين الحضارتين العربية والفارسية .

وأما عن صفاته فكان أسمر اللون طويلاً فصيحاً حلو الكــلام فــى لسانه حبسة أى ثقل يمنعه من البيان ، وفى كلامه تمتمة يسيرة ، لــذلك كان يتخذ من ينشد له شعره، وكان شديد الفطنة قوى العارضة ، متميزاً ومقبولاً من الناس ، قادراً على التأثير فيمن حوله ، وكان رجلاً أنيقاً به زهو وكبرياء واعتزاز بنفسه ، يتسم بالنحافة وبريق العينــين والــذكاء الحاد ، وحسن التخلص فى مهارة وحذق ، وقد واتتــه هــذه الخــلال ومكنت له من الغوص على المعانى فكان لا يزال يجد فى أثر المعنــى

حتى يصل منه إلى ما يعسر على غيره تناوله ، وكان شعره صورة ناطقة لحياته ، فالتطريز والتنميق والنمنمة والبديع فى شعره إنما كان ناشئاً من عمله فى الحياكة ، وتكرار بعض الألفاظ فى شعره كلفظ (الدلو) يدل على ما كان يمتهنه فى صباه بمصر حيث كان يسقى الماء ، وكان يعتز بشعره اعتزازاً كبيراً ويجعل صلته بالأدب فوق الصلات كلها ، وبدا من شعره أنه لم يكن سليم البنيان ، فقد كان يعانى من مرض مزمن هو مرض الكُلى ، وتحدث كثيراً فى شعره عن مرضه ونحوله وشحوبه وإحساسه بأن الموت يحاصره حصاراً شديد طوال حياته وهذا يفسر قلقه وتوتره وخوفه من الحياة وكان فى شعره قوة وجزالة ، واختلف فى التفضيل بينه وبين المتنبى والبحترى، له تصانيف منها (فحول الشعراء ــ خ) و(ديوان الحماسة ــ ط) و(مختارات أشعار القبائل) وهو أصغر من الحماسة، و(نقائض جرير والأخطل ــ ط) و(الوحشيات ــ ط) وهو ديوان الحماسة الصغرى، و (ديوان شعر ــ ط) ومما كتب عنه (أخبار أبى تمام ــ ط) الصولى ، و(أبو تمام حياته وشعره ــ ط) لنجيب محمد المصرى وغير ذلك كثير .

وقد مدح أبو تمام رجال الدولة فى عصره ، وهجا ورثى ، وقال فى أغراض الشعر كلها ، وكان جملة من مدحهم ثمانية وأربعين مابين خليفة وابن خليفة ووزير وكاتب وقاض ، وكان أكثر من مدحه أبو تمام هو أبو سعيد محمد بن يوسف الثغرى فقد بلغت جملة قصائده فيه سبعاً وعشرين قصيدة ، وتوفى أبو تمام بالموصل ، وبنى عليه أحد بنى حميد الطوسى قبة خارج الميدان ، وقبره الآن ــ كما يقول محمد محيى الدين عبدالحميد ــ فى حديقة البلدية بالموصل .

المبحث الأول

مفهوم الزمن ومفرداته فى شعر أبى تمام

أولاً : مفهوم الزمن

قبل أن نتحدث عن الزمن فى شعر أبى تمام ودراسته دراسة موضوعية وفنية نقف أولاً عند مفهوم هذا المصطلح فى المعاجم اللغوية وفى الفن الأدبى حتى يتسنى لنا معرفة الهدف من الزمن فى هذه الدراسة .

أما المفهوم اللغوى للزمن ومدلوله فى معاجم اللغة فيشير إلى أن له معانى متعددة ، فابن منظور فى لسان العرب يقول : إن الزمن اسم لقليل الوقت وكثيره ، وفى المحكم : الزمن والزمان بمعنى العصر ، والجمع أَزْمُن وأزمان وأزمنة ، وأزمن بالمكان : أقام به زماناً ، وقال شَمِر: الدهر والزمان واحد ، وقال أبو الهيثم : الزمان زمان الرطب والفاكهة وزمان الحر والبرد ، ويكون الزمان شهرين إلى ستة أشهر، والدهر لا ينقطع وقال أبو منصور : الدهر عند العرب يقع على وقت الزمان من الأزمنة وعلى مدة الدنيا كلها ، والزمان يقع على الفصل من فصول السنة[1] .

وجاء فى ترتيب القاموس المحيط ومختار الصحاح والمصباح المنير أن السنة أربعة أزمان وهى الفصول ، الربيع وهو عند الناس الخريف ، والشتاء ، والصيف والقيظ[2] .

وأما مفهوم الزمن فى الأدب والعلم فهو يدور حول أمرين مهمين هما :ـــ

([1]) لسان العرب لابن منظور ، ط دار المعارف جـ٣ مادة (زمن) .

([2]) ترتيب القاموس المحيط للطاهر أحمد الزاوى ط٢عيسى البابى الحلبى جـ٢ مادة (زمن) ، ومختار الصحاح للرازى ط عيسى البابى الحلبى مادة (زمن) ، والمصباح المنير للمقرى تحقيق د / عبدالعظيم الشناوى ط دار المعارف ، مادة (زمن) .

الأول : الزمن الموضوعى والثانى : الزمن الذاتى.

والمفهوم الأول وهو الزمن الموضوعى ينظر إلى الزمن باعتباره خارج الذات الإنسانية وهو ينقسم إلى قسمين :

أولهما : الزمن الدائرى وهو النظر إلى حركة الزمن الدائرية، وهو يعنى أن الزمن يسير فى حلقة مفرغة فالليل يأتى فى أعقاب النهار، والشتاء ينقضى ليأتى ، ثم تعود دورة الحياة تكرر نفسها بين تعاقب الليل والنهار وتكرار الفصول ، وبذلك يتصف الزمان بالتكرار والتواتر ، والماضى تبعاً لذلك يعود فيكرر نفسه فى الحاضر والمستقبل، ونرى هذا النوع من الزمن فى شعر أبى تمام فى القصائد التى تشتمل على مفردات الزمن كالليل والنهار والأمس والآن والفجر والشمس وغيرها .

وثانيهما : الزمن الخطى وهو زمن يسير فى خط مستقيم وفى اتجاه واحد لا رجعة له ، وفيه استحالة لتكرار الماضى ، فالوجود له بدء وله نهاية ، فالبدء يكون بخلق آدم وحواء ، والنهاية تكون بيوم القيامة فالزمن يسير فى خط واحد لا رجعة له ، ونرى هذا اللون من الزمن فى شعر أبى تمام فى القصائد التى يتحدث فيها عن الموت .

والثانى وهو الزمن الذاتى فهو زمان شعورى نفسى من حيث إنه لا يوجد مستقلاً عن تجارب وخبرات النفس الإنسانية ، وهو ما عنى به علم النفس الذى اتخذ الإنسان موضوعاً له ككائن حى ، يرغب ويحس ويدرك وينفعل ويتذكر ويتخيل ويفكر[1]، وهذا الزمن هو الذى عرفه عبدالرحمن بدوى بالزمان الوجودى[2] .

([1]) الزمن بين الفلسفة والفن تأليف عبير صلاح الدين ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة٢٠٠٧م ص١٩: ص٥٠ .

([2]) الزمن الوجودى : لعبدالرحمن بدوى ، مكتبة النهضة المصرية ط الثانية سنة ١٩٥٥ م ص٩٧ .

فعلى مستوى اللغة مثلاً يقول الدكتور عز الدين إسماعيل : إن اللغة أداة زمانية . . . أو هى فى الحقيقة تشكيل للزمن نفسه تشكيلاً يجعل له دلالة معينة تماماً كما أن الرسم تشكيل للألوان فى المكان له دلالته ، أو هو تشكيل للمكان[1].

ويرى الدكتور عز الدين إسماعيل كذلك أن العمل الفنى يمثل فى النهاية بنية زمانية ومكانية فى آن واحد حيث يندمج التشكيل الزمانى والتشكيل المكانى فى عملية درامية واحدة ،وما أسماه عبدالرحمن بدوى بالزمن الوجودى (أى الذاتى) هو الذى أسماه غيره بالزمن الدرامى وهو يعنى النظر إلى العالم من خلال الذات أى من داخلها ، حيث إن كل شئ خارج الذات الإنسانية لا وجود له باعتبارها الوعى المدرك للعالم والمانح له القيمة والمعنى والنظام ، وهذا المفهوم الدرامى للزمن تأثر به الوجوديون الفلاسفة اللذين ينظرون إلى الزمن على أنه لا وجود له إلا فى النفس .

فالزمن الذاتى له مسميات متعددة ، فهو ذاتى ووجودى ودرامى وسيكلوجى (وهو زمان شعورى نفسى من حيث أنه لا يوجد مستقلاً عن تجارب وخبرات النفس الإنسانية ، وهو ما يسمى عند علماء النفس بالزمن النفسى) ونرى هذا الزمن الدرامى الذاتى الوجودى النفسى لدى الشاعر مثلاً فى قصيدة له يمدح فيها محمد بن حسان الضبى ، وهذا المسميات سنتناولها بالبسط والعرض فى موضوعات شعر الشاعر[2].

وهناك مسميات أخرى للزمن كالزمن الذاتى والزمن الرصاصى ، والزمن النحاسى والزمن الخلاسى والزمن الزئبقى[3].

---

(1) التفسير النفسى للأدب د/ عز الدين إسماعيل مكتبة غريب ص٤٧ .

(2) الزمن بين الفلسفة والفن ص٣٤ : ص٥٨ .

(3) علم نفس الأدب د/ مصرى عبدالحميد حنورة دار غريب للطبع والنشر والتوزيع ــ القاهرة جـ١ ص٢٦١ ، جـ٢ ص٣٩٨ .

وقد اهتم الشعراء والنقاد قديماً وحديثاً بقضية الزمن ، أما الشعراء فقد اعتمدوا على الزمن ومفرادته فى بناء صورهم الشعرية من لدن العصر الجاهلى إلى عصر الشاعر وما بعد عصره ، من ذلك قول حاتم الطائى[1] :ـ

هل الدهر إلا اليوم أو أمس أوغد كذاك الزمان بيننا يتردد
يرد علينا ليلة بعد يومها فلا نحن نبقى ولا الدهر ينفد

فقد أورد الشاعر فى هذين البيتين لفظ الزمن وبعض مفرداته وهى : الدهر ، واليوم ، وأمس ، وغد ، وليلة ، وهذا يدل على اهتمام الشاعر بقضية الزمن .

ومن الشواهد الشعرية على ورود الزمن ومفرداته فى الشعر عبر العصور قول أوس بن حجر[2] :

كأن الشباب يلهينا ويعجبنا فما وهبنا ولا بعنا بأرباح

وقوله :

صبوت وهل تصبو ورأسك أشيب وفاتك بالرهن المرامق زينب

وقوله:

إذ الناس ناس والزمان يعزه وإذ أم عمار صديق مساعف

ومن الشواهد كذلك قول الخنساء (٢٤هـ ـ ٦٤٦م) من قصيدة بعنوان (مالى وللدهر)[3] :ـ

وفجعنى ريب هذا الزمان به والمصائب قد تُفجع

---

(1) ديوان حاتم الطائى. تحقيق د/ مفيد محمد قميحة ـ منشورات دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ط أولى سنة ١٩٨٤م ص٢٨ .

(2) ديوان أوس بن حجر تحقيق وشرح د/ محمد يوسف نجم ط٣ دار صادر بيروت سنة ١٩٧٩م ص١٤، ص٥، ص٧٤ .

(3) ديوان الخنساء ـ دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م ص٨١، ص٩٤ .

وقولها من قصيدة بعنوان(تعرفنى الدهر) وفيهـا تلـوم الـدهر، وتفتخر بقومها :ـــ

تعرفنى الدهر نهساً وحزاً وأوجعنى الدهر قرعاً وغمرا

أى أخذ ما على عظمى من لحم بأسنانه نهـشاً ، والـنهش الأخـذ بأطراف الأسنان ، وقرعه : ضربه بالسوط .

ومن شواهد الشعراء المخضرمين قول حميد بن ثور الهلالى[1]:ـــ

فقامت بأثناءٍ من الليل ساعة سراها الدواهى واستنام الخرائد

أى أن هذه المرأة تقوم بالليل فتمضى فى عمـل مـا تريـده فـى الأوقات التى تنام فيها الحبيبات ، فهى صبور على العمل والسهر .

ومن شواهد الإمام الشافعى (١٥٠هـ ـ ٢٠٤ هـ) قوله[2] :

الدهر يومان ذا أمن وذا خطر والعيش عيشان ذا صفو وذا كدر

وقوله :

قنعـت بالقـوت من زمانـى وصنـت نفسى عـن الهـوان

ومن الشواهد كذلك قول ابن شرف القيروانى(٣٩٠ ـ ٤٦٠هـ) يشكو الزمان وغدره[3] :ـــ

مالى يعاقبنى الزمان وليس لى ذنب كأنى عمرو المضـروب

ما كان أدلانـى بحكم المبتـدا فى النحو لو أن الزمان أديب

يشير الشاعر فى بيته الأول إلى المثل المشهور عند النحويين (ضرب زيد عمراً) ، ويتمنى أن ترتفع منزلته فـى الحيـاة فيـصير كالمبتدأ فيصبح دائم الرفعة .

---

(1) ديوان حميد بن ثور الهلالى ، صنعه أ / عبدالعزيز الميمنى رئيس قسم اللغة العربية بجامعة علبكرة بالهند ـ مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٧١هـ سنة ١٩٥١م ص٧١ .

(2) ديوان الشافعى تحقيق د / محمد عبدالمنعم خفاجى ط٢ سنة ١٤٠٥هـ سنة ١٩٨٥م الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ص٨١ ، ص١١٦ .

(3) ديوان ابن شرف القيروانى تحقيق د / حسن ذكرى حسن ـ نشر مكتبة الكليات الأزهرية ص٤٢ .

ويقول البهاء زهير(٥٨١هـ ـ ٦٥٦هـ)عن غدر الزمان[١]:ـ

إنـــى لأعجز أن أرى متحملاً عذرين عذر أخ وغدر زمان

ومن شعراء العهد الفاطمى ظافر الحداد (ولد فى أوائل النـــصف الثانى من القرن الخامس) قال يمدح الأجلَّ الأفـــضل ويهنـــؤه بـــشهر رمضان [٢]:ـ

يا دوحـــة الفضل التى فى ظلهـــا للخلـــق من جور الزمـــان أمان
قد طاب أصلك فى المكارم مغرسا وتفننـــت لـــك فى العلـــى أفنان
إذا البشـــرى أتتـــك بكل معنـــى تســـر به فمـــا ابتـــدع الزمان

ويقول ابن معتوق (المتوفى سنة ١٠٨٧ هـ) فى قصيدة يمـــدح بها النبى صلى الله عليه وسلم قالها فى عام ١٠٦٣ هـ [٣]:ـ

فـــإلام يفجعنى الزمان بفقـــدهـــم ولقد رأى جلدى على حد شانه
عينـــى على هذا الزمان مطـــول يفضى إلى الإطناب شرح بيانه

وأما النقاد قديماً فقد عرفوا للزمن ومفرداته الأثر الكبير فى الشعر، فيقول ابن قتيبة : " للشعر أوقات يسرع فيها آتية ، ويسمح فيها أبيـــه ، منها أول الليل قبل تغشى الكرى ، ومنها صدر النهار وقبـــل الغـــداة ، ولهذه العلل تختلف أشعار الشاعر ورسائل الكاتب " ، ويوصى أبو تمام أبا عبادة البحترى فيقول : " يا أبا عبادة تخير الأوقـــات وأنـــت قليـــل الهموم ، صفر من المغموم ، واعلم أن العادة فى الأوقـــات أن يقـــصد الإنسان لتأليف شئ أو حفظه فى وقت السحر، وذلـــك أن الـــنفس قـــد أخذت حظها من الراحة ، وقسطها من النوم " [٤].

---

(١) ديوان البهاء زهير ـــ دار بيروت للطباعة والنشر ص٣٣٠ .

(٢) ديوان ظافر الحداد تحقيق د / حسين نصار ـــ ط دار مصر للطباعة ـــ الناشر مكتبة مصر بالفجالة ص٢٠٨ ، ص٢٠٩ .

(٣) ديوان ابن معتوق ط دار صادر بيروت بالمطبعة الأدبية سنة ١٨٨٥م ص٧ .

(٤) الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق د/ مفيد قميحة دار الكتب العلميـــة بيـــروت ص٢٤ .

ويشير ابن رشيق القيروانى إلى أهمية الزمن لدى الشاعر فيقول: " كان جرير إذا أراد أن يؤلف قصيدة صنعها ليلاً ، يشعل سراجه ويعتزل ، وربما علا السطح وحده فأضطجع ، وغطى رأسه رغبة فى الخلوة بنفسه " [1] .

واهتم النقاد حديثاً بقضية الزمن وصلة الإنسان به ، فيقول الدكتور زكى مبارك " فأبو تمام مسبوق بطائفة من الشعراء والخطباء أوصوا باختيار الأوقات التى تصفو فيها النفس ويلطف الحس ويستيقظ الوجدان " [2] .

ويقول أحد النقاد :" فكرة الإنسان عن الزمن أو إحساسه به من الأمور المعروفة التى لا تحتاج إلى بيان لأن كل إنسان يدرك الوقت الذى يحيا فيه . . " [3] ، ويقف على آية واحدة مما جاء فى القرآن الكريم وهى قوله تعالى " هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب "[4] ليشير من خلالها على أن الإنسان لا يمكنه أن يستغنى عن معرفة الزمن ، لأن تنظيم حياته كلها يرتكز على معرفة الزمن ، إذ لا يستطيع الزارع مثلاً أن يغرس الأشجار بطريقة نافعة بدون معرفة الزمن ، ولا يستطع المسافر أن يسافر بصورة متقنة بدون معرفة الزمن .

([1]) العمدة فى صناعة الشعر ونقده تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد دار الجبل ــ بيروت جـ١ ص٢٠٧ .

([2]) الموازنة بين الشعراء د/ زكى مبارك ص١٣٣ .

([3]) نظرات فى الأدب والنقد لعبدالرازق البصير سلسلة كتاب العربى ــ الكتاب الثامن والعشرون سنة١٩٩٠ م ص١٨٧ .

([4]) سورة يونس آية ٥ .

ثانياً : مفردات الزمن فى شعر أبى تمام

تعددت مفردات الزمن ومرادفاته فى شعر أبى تمام وكانت أحد الروافد المهمة للمعجم الشعرى لدى الشاعر الذى استطاع من خلالها التعبير عن انفعالاته وكوامنه ، والإفصاح عن جوانحه وأحاسيسه الداخلية .

فمن مرادفات الزمن لدى الشاعر (الدهر)

الدهر : هو الآمد الممدود ، وقيل هو ألف سنة ، والزمان الطويل وجمع الدهر أدهر ودهور، وقال بعضهم الزمان والدهر واحد، والدهارير : أول الدهر فى الزمان الماضى ولا واحد له وهى جمع الدهور ، ويقال : إن الدهر هو النازلة وقال مجاهد فى قوله تعالى (إذا الشمس كورت) أى دهورت [1] ، وجاء فى المصباح المنير أن الدهر يطلق على الأبد وقيل هو الزمان قل أو كثر ، ويطلق على الفصل من فصول السنة وأقل من ذلك ويقع على مدة الدنيا كلها [2] .

ومثاله قول الشاعر من قصيدة يمدح بها إسحاق بن إبراهيم[3]:ـ

والدهر ألأم من شرقُتَ بلومه إلا إذا أشرقته بكريم

وقوله من قصيدة يرثى بها خالد بن يزيد بن مزيد [4] :ـ

لقد نهس الدهر القبائل بعده بناب حديد يقطر السمَّ عَاند

([1]) لسان العرب جـ٢ مادة (دهر) .

([2]) المصباح المنير للمقرى تحقيق د/ عبدالعظيم الشناوى ط دار المعارف مادة (دهر) ، وينظر: المختار الصحاح مادة (دهر) ، وينظر : القاموس المحيط جـ٢ مادة (دهر) ، وينظر: الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية لحسين المرصفى تحقيق د/ عبدالعزيز الدسوقى ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة١٩٨٢ م جـ١ ص١٠٨ .

([3]) ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى تحقيق محمد عبده عزام ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٥م جـ٣ ص٢٦٧ .

([4]) ديوان أبى تمام جـ٤ ص٦٨ .

وقوله من قصيدة يعرِّض ببعض بنى حميد [1]:ــ

لقد جربت هــذا الدهر حتى أفادتنى التجــارب والعنــاء

ومن مفردات الزمن لدى الشاعر (اليوم)،(الأيام) .

اليوم : معروف، مقداره من طلوع الشمس إلى غروبها والجمــع أيام ، وأيامُ الله تعالى نعمه وقال الأخفش فى قوله تعالى (من أول يوم) أى من أول الأيام ، وعبروا باليوم عن الشدة فقالوا يوم أيوم أى شــديد كما يقال ليلة ليلاء ، والعرب تجعل الأيام فى معنى الوقائع كيــوم ذى قار وهو يوم لبنى شيبان وهو أول يوم انتصرت فيه العرب من العجــم وإنما خصت العرب الأيام دون ذكر الليالى فى الوقــائع لأن حــروبهم كانت نهاراً [2] .

ومثاله قول الشاعر : من قصيدة يمدح بها أبا ســعيد محمــد بــن يوسف الثغرى [3] .

يوم فتح سقى أسود الضواحى كثب الموت رائــباً وحليبــا

فإذا ما الأيام أصبحن خرساً كُظماً فى الفخار قام خطيبا

ومثاله كذلك قول الشاعر يرثى إسحاق بن أبى ربعى [4] .

يا ابن أبى ربعى استقبلتْ من يومك الدنيــا بيوم عصيب

وقول الشاعر فى الزهد [5] :

وما تبرح الأيام تحذف مدتى بعدِّ حساب لا كعدِّ حسابيا

([1]) ديوان أبى تمام جـــ٤ ص٢٩٦ .

([2]) لسان العرب جـــ٦ مادة (يوم)، وينظر ترتيب القاموس المحيط جـــ٤ مــادة (يوم) ، والمصباح المنير مادة (يوم) ومختار الصحاح مادة (يوم) والوسيلة الأدبية جـــ١ ص١٠٨ .

([3]) شرح ديوان أبى تمام لمحمد محيى الدين عبدالحميد ــ الناشر مكتبــة صــبيح جـــ١ص٧٠ .

([4]) ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى جـــ٤ ص١٨٤ .

([5]) السابق جـــ٤ ص٦٠٠ .

ومن مفردات الزمن لدى الشاعر (العام) .

جاء فى ترتيب القاموس المحيط أن العام : هو السنة والجمع أعوام [1] ، وجاء فى المصباح المنير ولسان العرب أن العام : هو الحول وأن الناس لا يفرقون بين العام والسنة ويجعلونهما بمعنى فيقولون لمن سافر فى وقت من السنة أى وقت كان إلى مثله عام ، وفى التهذيب أيضاً : العام حول يأتى على شتوة وصيفية وعلى هذا فالعام أخص من السنة ، فكل عام سنة وليس كل سنة عاماً [2] .

ومثاله قول الشاعر يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الطائى [3] :

أجلْ عينيك فى ورقى مليا فقد عاينت عام المحل عُودى

فالشاعر يقول : حرك عينيك فى حالى تتبين لك أحوال أبى سعيد وأفضاله ، فإنك سترى ورقى أخضر يانعاً تظهر فيه الحياة وحسن الرونق بعد أن كان يابساً جافاً فى أيام المحل والجدب ، وهذا أثر من آثار أبى سعيد .

ومثاله كذلك قول الشاعر يمدح أبا عبدالله أحمد بن أبى دُؤاد ويعتذر إليه ويستشفع بخالد بن يزيد [4] :

عامى وعام العيس بين وديقة مسجورة وتنوفة صيهود

ومن مفردات الزمن لدى الشاعر (الساعة) .

وهى كما يقول ابن منظور فى لسان العرب إنها جزء من أجزاء الليل والنهار والجمع ساعات ، وساع ، والساعة: الوقت الحاضر ، وقوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون) يعنى بالساعة :

---

(1) القاموس المحيط جـ ٣ مادة (عوم) .

(2) لسان العرب جـ٤ مادة (عوم) ، والمصباح المنير والمختار الصحاح مادة (عوم) .

(3) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص٣١٢ .

(4) السابق جـ١ ص٢٣٨ .

الوقت الذى تقوم فيه القيامة ، وسميت القيامة بالساعة لأنها تفجأ الناس فى ساعة فيموت الخلق كلهم عند الصيحة الأولى [1] .

ومثال لها قول الشاعر يمدح الحسن بن سهل [2] :

ستصبح العيس بى والليل عند فتى كثير ذكر الرضى فى ساعة الغضب

ومثله قول الشاعر يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى ويصف وقعته بالخرمية [3]:

كانت على الدين كالساعات من قصر وعدها بابك من طولها حججا

فالشاعر يقول إن هذه الأيام كانت قصيرة عند المسلمين لأنهم أحرزوا النصر والظفر وكانت طويلة على بابك لما وقع فيه من الهزيمة والقتل.

ومن مفردات الزمن لدى الشاعر (الشهر) .

الشهر : هو العدد المعروف من الأيام لأنه يشهر بالقمر والجمع أشهر وشهور وقيل الشهر : الهلال ، وسمى به لشهرته ووضوحه ثم سميت الأيام به [4] .

ومثاله قول الشاعر يمدح الحسن بن وهب ووجه بها إليه من الموصل [5] .

عام وشهر مقبلان كلاهما ما ا ستجمعا إلا لحظ مقبل

([1]) ينظر لسان العرب جـ٣ مادة (سوع) ومختار الصحاح مادة (سوع) والوسيلة الأدبية جـ١ ص١٠٨ .

([2]) شرح ديوان أبى تمام جـ١ص٣٩ .

([3]) المرجع السابق جـ١ ص١٨٦ .

([4]) لسان العرب جـ٤ مادة (شهر) وترتيب القاموس المحيط جـ٢ مادة (شهر) ومختار الصحاح والمصباح المنير مادة (شهر) والوسيلة الأدبية جـ١ ص١٠٨.

([5]) ديوان أبى تمام جـ٣ ص٤٦ .

أى من سافر فى هذا الوقت حمد عاقبة سفره ، وقال ابن المستوفى: إنما أراد أن السفر فى هذا الوقت صالح لأنه من خير أوقات الزمان .

ومن مفردات الزمن لدى الشاعر (الفجر) .

الفجر : ضوء الصباح وهو حمرة الشمس فى سواد الليل وهو فجران أحدهما المستطيل وهو الكاذب الذى يسمى ذنب السِّرحان والأخر المستطير وهو الصادق المنتشر فى الأفق الذى يحرم الأكل والشرب على الصائم ولا يكون الصبح إلا الصادق والفجر فى أخر الليل كالشفق فى أوله [1].

ومثاله قول الشاعر يمدح حبيش بن المعافى قاضى نصيبين ورأس العين [2] :

إذا ظلمات الرأى أسدل ثوبها تطلع فيها فجره فتجلت

أراد أنه يوضح لهم حقائق الأمور ويذهب عنهم لبسها .

ومن مفردات الزمن لدى الشاعر (الصبح) .

الصبح : أول النهار والفجر ، والصباح نقيض المساء ، والجمع أصباح ، يقال أصبح القوم : دخلوا فى الصباح [3]، وقال المقرى فى المصباح المنير نقلاً عن ابن الجواليقى أن الصباح عند العرب من نصف الليل الأخر إلى الزوال ثم المساء إلى أخر نصف الليل الأول[4].

---

(1) لسان العرب جـ٥ مادة (فجر) وترتيب القاموس المحيط جـ٣ مادة (فجر) ومختار الصحاح والمصباح المنير مادة (فجر) والوسيلة الأدبية جـ١ص١١٠.

(2) شرح ديوان أبى تمام جـ١ص١٦٦ .

(3) لسان العرب جـ٤ مادة (صبح) وترتيب القاموس المحيط جـ٢ مادة (صبح) ومختار الصحاح مادة (صبح) والوسيلة الأدبية جـ١ ص١١٠ .

(4) ينظر المصباح المنير مادة (صبح) .

ومثاله قول الشاعر يهنئ أبا دلف القاسم بن عيسى بسلامته من الأفشين ومن علة لحقته [1]:

قد شرّد الصبحُ هذا الليل عن أفقه وسوغ الدهر ما قد كان من شرقه

ومثل قول أبى تمام يمدح محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد [2]:

هتكت يد الأحزان ستر عزائى هتك الصباح دُجنة الظلماء

يريد أن يقول لقد بدد الحزن عزائى وأذهب تصبرى مثل ما يذهب الصباح ظلمة الليل .

ومن مفردات الزمن لدى الشاعر (الضحى) .

الضحى : الضحو والضحوة والضحية : إرتفاع النهار ، والضحى فويق ذلك والضحاء إذا امتد النهار وقارب أن ينتصف ، وقيل الضحى من طلوع الشمس إلى أن يرتفع النهار وتبيض الشمس جداً ثم بعد ذلك الضحاء إلى قريب من نصف النهار[3] .

ومثال ذلك قول الشاعر يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى[4]:

قد كان يعلم إذ لاقى الحمام ضحى لا طالباً وزراً منه ولا وَحَجا

ومن مفردات الزمن لدى الشاعر (العصر)

العصر : الدهر والجمع أعصر وأعصار وعُصُر وعصور ، والعصران : الليل والنهار ، والعصر: الليلة واليوم ، والعصران : الغداة والعشى ، وقال أبو العباس : الصلاة الوسطى صلاة العصر وذلك لأنها بين صلاتى النهار وصلاتى الليل [5] .

([1]) ديوان أبو تمام جـ٢ ص٤٠٢ .

([2]) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص١١ .

([3]) لسان العرب جـ٤ مادة (ضحا) وترتيب القاموس المحيط جـ٣ مادة (ضحا) ومختار الصحاح مادة (ضحا) والوسيلة الأدبية جـ١ ص١١٠ .

([4]) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص١٩٠ .

([5]) لسان العرب جـ٤ مادة (عصر) وترتيب القاموس المحيط جـ٣ مادة (عصر) ومختار الصحاح والمصباح المنير مادة(عصر) والوسيلة الأدبية جـ١ص١١٠.

ومثاله قول الشاعر يمدح المعتصم بالله أبا إسحاق محمد بن هارون الرشيد ويذكر بفتح عمورية [1]:

لو يعلم الكفر كم من أعصر كمنت له العواقب بين السمر والقضب

أى كانوا فى تلك الأعصر غافلين عما حلّ بهم من القتل والتخريب.

ومن مفردات الزمن لدى الشاعر (الغدوة)

الغدوة : بالضم : البكرة وهى ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس، والغدو أصل الغد وهو اليوم الذى يأتى بعد يومك فحذفت لامه، ثم توسعوا فيه حتى أطلق على البعيد المترقب [2] .

ومثال ذلك قول الشاعر يمدح خالد بن يزيد [3] :

لها منظر قيد النواظر لم يزل يروح ويغدو فى خفارته الحب

وقوله يمدحه أيضاً [4] :

جذبت نداه غدوة السبت جذبة فخرّ صريعاً بين أيدى القصائد

ومن مفردات الزمن الشاعر (الليل)

الليل : عقيب النهار ومبدؤه من غروب الشمس ، وواحده ليلة ، وتصغير ليلة لييلية ، ويقال ليلة ليلاء : طويلة شديدة صعبة وقيل هى أشد الليالى ظلمة وبها سميت المرأة ليلى [5] .

ومثال ذلك قول الشاعر يمدح عمر بن طوق التغلبى [6] :

---

(1) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص٢١ .

(2) لسان العرب جـ٥ مادة (غدا) وترتيب القاموس المحيط جـ٣ مادة (غدا) ومختار الصحاح والمصباح المنير مادة (غدا) والوسيلة الأدبيةجـ١ص١٠٩.

(3) شرح ديوان أبى تمام جـ١ص٧٥ .

(4) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص٢٧٥ .

(5) لسان العرب جـ٥مادة (ليل) وترتيب القاموس المحيط جـ٤ مادة (ليل) ومختار الصحاح والمصباح المنير مادة (ليل) والوسيلة الأدبية جـ١ ص١٠٩ .

(6) شرح ديوان أبى تمام جـ١ص٣١ ، ص١٩٥ .

لله ليلتنا وكانت ليلـــــة ذخرت لنا بين اللوى فالشريب

وقوله مادحاً:

كأسد الشرى إلا الوجوه فإنها بدور تشق الليل عن كل مدَّج

ومن مفردات الزمن لدى الشاعر (النهار)

النهار : ضياء ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس وقيل مـــن طلوع الشمس إلى غروبها وقال بعضهم النهار : إنتشار ضوء البـــصر واجتماعه والجمع أنهر ونهر وهو ضد الليل [1].

ومثاله قول الشاعر يمدح محمد بن الهيثم بن شبانه[2]:

إذا ما شعر قـــوم كان ليلاً تبلجتا كما انشق النهـــار

ومن مفردات الزمن لدى الشاعر (الشتاء)

الشتاء : أحد أرباع السنة وهو جمع شتوة وأشتية وهو اسم مفرد لا جمع بمنزلة الصيف لأنه أحد الفصول الأربعة [3].

ومثال ذلك قول الشاعر يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى[4]:

لقد انصعت والشتاء له وجه يراه الرجال جهماً قطوبـــا

ومن مفردات الزمن لدى الشاعر(الصيف)

الصيف : واحد فصول السنة وهو بعد الربيع الأول وقبـــل القـــيظ وهو من الأزمنة معروف وجمعه صياف وصيوف ويـــوم صـــائف أى حار و أصافوا أى إذا دخلوا فى زمان الصيف [5].

---

(1) لسان العرب جـ٣ مادة (نهر) وترتيب القاموس المحيط جـ٤ مادة(نهر) ومختار الصحاح والمصباح المنير مادة (نهر) والوسيلة الأدبية جـــ١ ص١١٠ .

(2) ديوان أبى تمام جـــ٢ ص١٥٨ .

(3) لسان العرب جـــ٤ مادة (شتا) وترتيب القاموس المحيط جـــــ٢ مـــادة(شـــتا) ومختار الصحاح والمصباح المنير مادة (شتا) والوسيلة الأدبية جـ١ ص١١٠ .

(4) شرح ديوان أبى تمام جـــ١ ص٦٦ .

(5) لسان العرب جـ٤ مادة (صيف) وترتيب القاموس المحيط جـ٢ مادة(صيف) ومختار الصحاح مادة (صيف) والوسيلة الأدبية جـــ١ ص١٠٩ .

ومثال ذلك قول الشاعر يمدح عمر بن طوق التغلبى [1]:

ومصيفهن المستظل بظلـــه سرب المهى وربيعهن الصيِّب

ومن مفردات الزمن لدى الشاعر (الربيع)

الربيع : جزء من أجزاء السنة وشهرا ربيع سُمِّيا بذلك لأنهما حدا فى هذا الزمن فلزمهما فى غيره وهما شهران بعد صفر و لا يقال فيهما إلا شهر ربيع الأول وشهر ربيع الأخر والربيع عند العرب ربيعان ربيع الشهور وربيع الأمنة فربيع الشهور شهران بعد صفر وأما ربيع الأزمنة فربيعان الربيع الأول وهو الفصل الذى تأتى فيه الكمأة والنور وهو ربيع الكلأ والثانى وهو الفصل الذى تدرك فيه الثمار[2] .

ومثال ذلك قول الشاعر يمدح أبا عبدالله أحمد بن أبى دُاؤد ويعتذر إليه ويستشفع بخالد بن يزيد [3]:

كنت الربيع أمامه ووراءه قمر القبائـــل خالد بن يزيد

ومن مفردات الزمن لدى الشاعر (الصبا)

الصبى : من لدن يولد إلى أن يفطم والجمع أصبية وصبوة وصبية والصبوة : جهلة الفتوة ، والصبى : الغلام والجمع صبية وصبيان[4] ومثال ذلك قول الشاعر يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى[5]:ـــ

قد عهدنا الرسوم وهى عكاظ للصبا تزدهيك حسنا وطيبا

---

(1) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص٣٠ .

(2) لسان العرب جـ٣ مادة (ربع) وترتيب القاموس المحيط جـ٢ مادة (ربع) ومختار الصحاح مادة (ربع) والوسيلة الأدبية جـ١ ص١٠٩ .

(3) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص٢٤٢ .

(4) لسان العرب جـ٥ مادة (صبا) وترتيب القاموس المحيط جـ٢ مادة(صبا) ومختار الصحاح والمصباح المنير مادة (صبا) .

(5) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص٦٣ .

ومن مفردات الزمن عند الشاعر (الفتاء والفتى)

الفتاء : الشباب ، والفتى والفتية : الشاب والشابة والفعل فتو يفتو فتاءً ، والفتيان : الليل والنهار[1] .

ومثال ذلك قول الشاعر يمدح الحسن بن وهب ويصف غلاماً أهداه إليه [2]:

ضم الفتاء إلى الفتوة برده وسقوه وسمى الشباب الصيب

ومن مفردات الزمن لدى الشاعر (الشباب)

الشباب : الفتاء والحداثة يقال شبَّ يشبُ شباباً وشبيبةً والشبيبة خلاف الشيب ، والشباب : جمع شاب وكذلك الشبان ، والشباب أول الشئ وهو سن ما قبل الكهولة [3] .

ومثال ذلك قول الشاعر يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف [4] :ـ

وكعابا كأنما ألبستها غفلات الشباب بُرداً قشيبا

ومن مفردات الزمن لدى الشاعر (الشيب)

الشيب : معروف قليله وكثيره بياض الشعر ، والمشيب مثله وربما سمى الشعر نفسه شيباً يقال شاب يشيب شيباً ومشيباً وشيبةً وهو أشيب على غير قياس والمشيب دخول الرجل في حد الشيب من الرجال ، والليلة الشيباء أخر ليلة من الشهر ويوم أشيب شيبان أى فيه غيم وبرد[5] .

([1]) لسان العرب جـ٥ مادة (فتا) وترتيب القاموس المحيط جـ٢ مادة(فتا) ومختار الصحاح والمصباح المنير مادة (فتا) .

([2]) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص١٠٠ .

([3]) لسان العرب جـ٤ مادة (شبب) وترتيب القاموس المحيط جـ٢ مادة(شبب) ومختار الصحاح والمصباح المنير مادة (شبب) .

([4]) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص٦٣ .

([5]) لسان العرب جـ٤ مادة (شيب) وترتيب القاموس المحيط جـ٢ مادة(شيب) ومختار الصحاح والمصباح المنير مادة (شيب) .

ومثال ذلك قول الشاعر يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى[1]:

لعب الشيب بالمفارق بل جـــ ـــدّ فأبكى تماضراً ولعوبـــا

ومثل قوله [2] :

كل داء يرجى الـــدواء لـــه إلا الفظيعين ميتة ومشيبـــا

ومن مفردات الزمن لدى الشاعر (كهل)

الكهل : الرجل إذا وخطه الشيب والكهل من الرجال الذى جـــاوز الثلاثين وخطه الشيب وقيل من زاد على ثلاثين سنة إلى الأربعين وقيل من ثلاث وثلاثين إلى تمام الخمسين [3] .

ومثاله قول الشاعر يمدح قوم أبى سعيد محمد بن يوسف الثغرى[4]:

كهول وشبان إذا قام فيهم خطيب رمى عن منطق غير مجلج

ومن مفردات الزمن لدى الشاعر (الشمس)

الشمس : هى واحدة الوجود ليس لها ثان ولهذا لا تثنى ولا تجمع وقيل إن جمع الشمس شموس كأنهم جعلوا كل ناحية منها شمس[5] .

ومثال ذلك قول الشـــاعر يمدح أبا ســـعيد محمـــد بـــن يوســـف الثغرى[6]:

فردت علينا الشمس والليل راغم بشمس لهم من جانب الخدر تطلع

ومن مفردات الزمن التى وردت لدى الشاعر (الثلاثاء)

الثلاثاء : من الأيام وكان حقه الثالث لكنه صيغ لـــه هـــذا البنـــاء ليتفرد به والجمع ثلاثاوات وأثالث [7] .

---

(1) شرح ديوان أبى تمام جـــ١ ص٦٤ .

(2) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص٦٤ .

(3) لسان العرب جـ٥ مادة (كهل) وترتيب القاموس المحيط جـ٤ مادة(كهل) ومختار الصحاح مادة (كهل) .

(4) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص١٩٧ .

(5) المختار الصحاح والمصباح المنير مادة (شمس) .

(6) الديوان جـــ٢ ص٣٢٠ .

(7) لسان العرب جـ١مادة (ثلث) ومختار الصحاح والمصباح المنير مادة (ثلث).

ومثاله قول الشاعر يرثى عمير بن الوليد [1] .

فيا يوم الثلثاء اصطبحنا غداة منك هائلة الورود

و يا يوم الثلثاء اعتمدنا بفقد فيك السند العميد

ومن مفردات الزمن لدى الشاعر (الفطر)

الفطر: الفطر نقيض الصوم والفطر: وقت دخول الفطر للصائم [2] ومثال ذلك قول الشاعر يعاتب عياشاً [3] :ـ

الفطر والأضحى قد انسلخا ولى أمل ببابك صائم لم يفطر

ومن مفردات الزمن عند الشاعر (آناء)

الآناء : الساعة من الليل أو ساعة ما منه يقال : أنى يأنى أى حان وآناء الليل ساعاته [4] .

ومثاله قول الشاعر يمدح محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد[5] :

وقديمة قبل الزمان حديثه جاءت وما نسبت إلى آناء

ومن مفردات الزمن لدى الشاعر (الدجى)

الدجى : سواد الليل مع غيم وقيل هو إذا ألبس الليل كل شئ والدجية : الظلمة يقال دجى الليل دجواً : أظلم [6] .

ومثال ذلك قول الشاعر يمدح عمر بن طوق التغلبى[7] :

قد قلت فى غسق الدجى لعصابة طلبت أبا حفص: مناخ الأركب

([1]) الديوان جـ٤ ص٥٨ .

([2]) لسان العرب جـ٥مادة (فطر) ومختار الصحاح والمصباح المنير مادة (فطر).

([3]) الديوان جـ٤ ص٤٥٤ .

([4]) لسان العرب جـ١ مادة (آنى) وترتيب القاموس المحيط جـ١ مادة(آنى) ومختار الصحاح مادة (أنا) .

([5]) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص١٢ .

([6]) لسان العرب جـ٢ مادة (دجا) وترتيب القاموس المحيط جـ٢ مادة(دجا) ومختار الصحاح مادة (دجا) .

([7]) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص٣٣ .

ومن مفردات الزمن لدى الشاعر (العهد)

العهد : الزمان [1] .

ومثاله قول الشاعر يمدح الحسن بن سهل [2] :

سنغرب تجديداً لعهدك فى البكى فما كنت فى الأيام إلا غرائبا

ومن مفردات الزمن لدى الشاعر (الحقب)

الحقبة من الدهر : مدة لا وقت لها ، وقيل الحقبة بالكسر السنة والجمع حقب وحقوب وأما الحقب بكسر الحاء : ثمانون سنة وقيل أكثر من ذلك والحقب بضم الحاء والقاف : الدهر ، والأحقاب : الدهور [3] .

ومثال ذلك قول الشاعر يمدح محمد بن الهيثم بن شبانة [4]:

رمانى بخلف بعد ما عاش حقبة له رسفان فى قيود المواعد

ومن مفردات الزمن لدى الشاعر (الأصيل)

الأُصُل جمع أصيل ، والأصيل هو العشى ، وهو الوقت بعد العصر إلى المغرب [5] .

ومثال ذلك قول الشاعر يمدح عمر بن طوق التغلبى [6]:

أصل كبرد العصب نيط على الضحى عبق بريحان الرياض مطيب

---

(1) ترتيب القاموس المحيط جـ٣ مادة(عهد).

(2) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص٤١.

(3) لسان العرب جـ٢مادة (حقب) وترتيب القاموس المحيط جـ١ مادة (حقب) ومختار الصحاح والمصباح المنير مادة (حقب) .

(4) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص٣٤٣.

(5) لسان العرب جـ١ مادة (أصل) وترتيب القاموس المحيط جـ١ مادة(أصل) ومختار الصحاح والمصباح المنير مادة (أصل) .

(6) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص٣٠.

ومن مفردات الزمن لدى الشاعر (البيات)

البيات : من بيت الأمر : عمله ليلاً ، أو دبره ليلاً وبيت القوم والعدو أوقع بهم ليلاً و الاسم البيات وآتاهم الأمر بياتاً أى آتاهم فى جوف الليل وتبييت العدو هو أن يقصد فى الليل من غير أن يعلم فيؤخذ بغتة وهو البيات [1] .

ومثال ذلك قول الشاعر يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف [2] :

وأرادوك بالبيات ومن هذا يرادى متالعاً أو عسيباً

ومن مفردات الزمن لدى الشاعر (السرى)

سرى: سير الليل عامته وقيل سير الليل كله يقال : سريت سرى وأسريت بمعنى إذا سرت ليلاً [3] .

ومثال ذلك قول الشاعر يمدح أبا العباس عبدالله بن طاهر بن الحسين بن مصعب [4] :

ألم تعلى أن الزماع على السرى أخو النجح عند الحادثات وصاحبه

ومن مفردات الزمن لدى الشاعر (أمس)

أمس : من ظروف الزمان ، وهو اليوم الذى قبل يومك بليلة [5].

ومثال ذلك قول الشاعر يمدح أبا العباس عبدالله بن طاهر بن الحسين بن مصعب [6]:

([1]) لسان العرب جـ١ مادة (بيت) وترتيب القاموس المحيط جـ١ مادة(بيت) ومختار الصحاح والمصباح المنير مادة (بيت) .

([2]) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص٦٨ .

([3]) لسان العرب جـ٣ مادة (سرا) وترتيب القاموس المحيط جـ٢ مادة(سرا) ومختار الصحاح والمصباح المنير مادة (سرا) .

([4]) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص١١٤.

([5]) لسان العرب جـ١ مادة (أمس) وترتيب القاموس المحيط جـ١ مادة(أمس) ومختار الصحاح والمصباح المنير مادة (أمس) .

([6]) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص١١٦.

فكم جزع وادٍ جب ذروة غارب وبالأمس كانت أنمكتــه مذانبه

ومن مفردات الزمن لدى الشاعر (التعريس)

التعريس : النزول فى أخر الليل وعرس المسافر نزل فى وجــه السفر وقيل التعريس النزول أى حين كان من ليل أو نهار[1] .

ومثال ذلك قول الشاعر يمدح أبا عبدالله أحمد بن أبى دؤاد [2] :

معرس كل معضلة وخطب ومنبت كل مكرمــة وآد

ومن مفردات الزمن لدى الشاعر (أمرد)

الأمرد : هو الغلام وقيل إذا لم تنبت لحيته فهو أمرد[3]

ومثال ذلك قول الشاعر يمدح محمد بن يوسف [4] :

ولو ملك الناؤون عنك نفوسهم لأمك منهم كل كهل وأمرد

ومن ذلك يتضح أن الشاعر استخدم فى ديوانه ثلاثا وثلاثين مفردة لكلمة (الزمن) وهذان إن دل على شئ فإنما يدل على أهمية الــزمن لدى الشاعر ، حيث عبر من خلال هذه المفردات كلها عــن مــشاعره وأحاسيسه وعواطفه وتجاربه وموضوعاته الشعرية ، ممــا يــنم عــن محصوله الثقافى الكبير ومعرفته التامة بقيمة الزمن وأهميته فى الشعر، ودوره فى التعبير والتحرير والتصوير .

---

(1) لسان العرب جـــ٤مادة (عرس) وترتيب القاموس المحيط جـــ٣ مادة(عرس) ومختار الصحاح والمصباح المنير مادة (عرس) .

(2) شرح ديوان أبى تمام جـــ١ ص٢٢٥ .

(3) ترتيب القاموس المحيط جـــ٤ مادة (مرد) ومختار الصحاح والمصباح المنير مادة (مرد) .

(4) شرح ديوان أبى تمام جـــ١ ص٤٥١ .

المبحث الثانى
مراحل تحول الزمن فى وجدان أبى تمام

مرت حياة أبى تمام بمراحل زمنية متعددة ، مرحلة الطفولة ، ومرحلة الصبا والفتاء ، ومرحلة الشباب ومرحلة المشيب ثم مرحلة الكهولة ، وهذه المراحل الزمنية لها صلة وثيقة بالمكان لدى الشاعر، فالمرحلة الأولى (الطفولة) عاشها فى الشام ، والثانية والثالثة فى بغداد ومصر ، والرابعة والخامسة فى الرقة، وفى خراسان، فالبيئات المكانية والزمانية كانت لها دور كبير فى تجارب الشاعر ووجداناته وأحاسيسه ومشاعره .

ولقد كثرت نماذج الشاعر التى تتحدث عن الشباب والمشيب ، وقلت نماذجه التى تتحدث عن الصبا والفتاء والكهولة ، وجاءت أمثلة الشباب مدحاً له وبكاء على انقضائه ، لأنه الفترة بين عهد الصبا والمشيب وهو عهد اللهو والمراح والقوة والفتوة والغبطة والسرور ، ولعل إحساس الشاعر بالزمن هو الذى دفعه إلى أن يكثر من تناول هذه المرحلة الزمنية فى شعره ، ومن ثم آثرنا أن نبدأ حديثنا عن أكثر المراحل الزمنية تردداً فى شعر الشاعر ، ولنبدأ بالحديث عن مرحلة الشباب ، التى يدور فيها الحديث عن أمرين :

الأول : مدح الشباب ، الثانى : البكاء على الشباب .

أولاً : مدح الشباب

أكثر الشعراء من مدح الشباب لما رأوا فيه اللهو والمراح والقوة والفتوة والصحة والعافية والسرور والانشراح والغبطة ، وأنه الفترة التى بين الصبا والمشيب ، ولهذا فهم لا يفتئون يمدحونه ويذكرون أيامه، فيقول أبو العتاهية[1] :ـ

([1]) اللطائف والظرائف واليواقيت فى بعض المواقيت لأبى منصور الثعالبى ، جمع أبى النصر المقدسى القاهرة ، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح سنة١٣٣٤هـ ص١٠٦ .

إن الشباب وعيشنا اللذَّ الذى كناية زمنا نُســر ونجــذل

ويقول الأحوص[1] :ــ

إن الشباب حجــة التصابى روائح الجنة فى الشــباب

ويحدثنا أبو العلاء المعرى عن نعمة الشباب ووجوب معرفة قدرها وعن الشبيبة التى يتمناها جميع التى يتمناها الكائنات على اختلافها من جن وإنس ونعم وغير ذلك فيقول [2]:ــ

تنكرت فاعرف للشبيبة موضعا لكل ضمير من هواه وساوس

تمنــاه إنسى وأعيــس بــازل وأسحم طيــار وأعفــر كانس

وأما حديث الشاعر عن هذه المرحلة فإنه يبين قيمة الــشباب فــى حياة الإنسان بصفة عامة وعنده بصفة خاصة ،إذ هو بــاكورة الحيــاة وزهرتها وبهجتها ، وهو شرخ الشباب وعنفوانــه واقتباله، يقول [3]:ــ

الحســن بــن وهــــب كالغيــث فى انــسكابــــه

فى الشــرخ من حجــاه والشــرخ من شــبابــــه

ويقول فى بيتين من قصيدة يمدح فيها الحسن بن وهب ، ويــصف غلاماً أهداه إليه [4]:ــ

ضم الفتاء إلى الفتوة بُــرده وسقوه وسمى الشــباب الصيب

وصفا كما يصفو الشباب وإنه فى ذاك من صبغ الحياء لمشرب

يصف الغلام بالفتاء والفتوة ، الفتاء أى حداثة السن ، والفتوة فــى الأخلاق ، ويقول إنه جمع كذلك بين الصفاء والحياء .

---

(1) المقتضب لأبى العباس المبرد تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة ــ القــاهرة ــ المجلس الأعلى للشئون الإسلاميةــ لجنة إحياء التراث الإسلامى ســنة ١٩٦٦م جــ ٣ ص١٣١ .

(2) شروح سقط الزند لأبى العلاء المعرى ــ القاهرة ــ الدار القوميــة للطباعــة والنشر سنة ١٣٨٣هــ سنة ١٩٦٤ م جــ٥ ص١٩٧١ .

(3) شرح ديوان أبى تمام جــ١ ص٨٤ .

(4) السابق جــ١ ص١٠٠ .

وفى بيت له من قصيدة يمدح فيها أبا جعفر محمد بن عبدالملك بن أبى مروان الزيات يصف فيه ما فعله الشباب بقلب امرأة تسمى أروية ورد ذكرها فى البيت الأول من القصيدة ، حيث انحط الشباب على فؤادها أى جعلها حية الفؤاد وأن الحسن قد أطاعها وجعلها خفيفة الروح عذبة النفس ، يقول فيه [1]:ـ

أطاعها الحسن وانحط الشباب على فؤادها وجرت فى وصفها النسب

ويحرص أبو تمام على بيان أثر الشباب لدى الغوانى وهن النساء اللاتى غنين بحسنهن عن الحلى والزينة أو اللائى غنين بمال آبائهن وبيته عن أزواجهن ، أو اللائى يرغب فيهن الرجال لحسنهن ، فيبين أن شبابهن يجرى فى جميع جسدهن ، فيقول فى بيت له من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد بن مزيد [2]:ـ

راحت غوانى الحى عنك غوانيا يلبسن نأياً تارة وصدودا
من كل سابغة الشباب إذا بدت تركت عميد القريتين عميدا

ويستمر الشاعر فى مدح الشباب فيضيفه إلى كلمة (ريعان) التى توحى بالبهجة والسرور لمقدم الربيع فيقول من قصيدة يمدح بها داود بن محمد [3]:ـ

واهتز ريعان الشباب فأشرقت لتهلل الشجر القرى والبيد

ويصف فى بيت آخر له من قصيدة يمدح بها عمر بن عبدالعزيز الطائى من أهل حمص ما فعله الشباب بالمرأة حيث صبَّ عليها ماءً من الحسن ليس فى صفوه كدر ، وأنه لولا العيون التى يُبصر بها الرأى الخدود الحسان ما حسده الأعمى على ذلك ، فيقول[4] :ـ

صبَّ الشباب عليها وهو مقتبل ماءً من الحسن ما فى صفوه كدر

---

(1) شرح الديوان جـ1ص١٢٣ .
(2) السابق جـ1 ص٢٥٢ .
(3) الديوان جـ2 ص١٤٨ .
(4) الديوان جـ2 ص١٨٥.

لولا العيون وتفاح الخدود إذاً ما كان يحسد أعمى من له بصر

وما أجمل تعبيره وتصويره للأيام وقد لبست الحسن وماء الشباب فشبت بجود الممدوح بعد أن كانت قد هرمت ، يقول فى بيت له من قصيدة يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلى [1]:ـ

بجوده انصاتت الأيام لابسة شرخ الشباب وكانت جلة شُرُفا

وفى بيت آخر له من قصيدة يرثى بها أحمد بن هارون القرشى فعدد بعض صفاته وجعل منها ماء الشباب فقال [2]:ـ

وعلا عارضيه ماءُ الندى بالجا رى وماءُ الحجى وماءُ الشباب

ثانياً : البكاء على الشباب

يكثر الشعراء من ذكر شبابهم والبكاء والتحسر عليه ، ويتمنون عودته على الرغم من أنهم يعلمون أن أيامه قصيرة سرعان ما تولى، يقول أبو العلاء المعرى فى التحسر على الشباب والبكاء عليه [3]:ـ

إذا الفتى ذم عيشاً فى شبيبته فما يقول إذا عصر الشباب مضى

وقد تعوضتْ عن كلّ بمشبهه فما وجدت لأيام الصِّبا عوضا

ومن الأبيات التى قالها أبو تمام فى البكاء على الشباب وروضته قوله من قصيدة يمدح بها محمد بن يوسف وقد قدم من مكة [4]:

أصبحت روضة الشباب هشيما وغدت ريحه البليل سموما

فهو يقول إن روضة الشباب أضحت هشيماً وأصبحت ريحه التى فيها شئ من مطر ريحاً حارة جافة ، ويشير فى بيت آخر إلى أن الشباب يبكى على ذهابه كما يُبكى على اللهو والغزل ، وذلك فى سياق حديثه عن البرد فى خراسان فيقول[5] :ـ

---

(1) الديوان جـ٢ ص٣٦٣ .

(2) الديوان جـ٤ ص٥٢ .

(3) شروح سقط الزند لأبى العلاء المعرى القاهرة جـ٢ ص٦٥٥ .

(4) الديوان جـ٣ ص٢٢٣ .

(5) الديوان جـ٤ص٥٢٦ .

عدل من الدمع أن يبكى المصيف كما يُبكى الشبابُ ويبكى اللهو والغزلُ

والبكاء على الشباب قليل فى شعر أبى تمام ، وهذا ما جعل أحد النقاد يشير إلى أن البحترى قد تفوق عليه فى هذا الاتجاه[1] .

مرحلة المشيب

تعد مرحلة المشيب من المراحل الزمنية المهمة فى وجدان أبى تمام ، " ولما كان المشيب هو العلامة الظاهرة لهذا التغير فى حياة الإنسان فإن لفظه يستخدم للدلالة عن جميع المراحل التى تعقب تولى الشباب، ومن هنا كان المشيب محنة إنسانية يمر بها الناس من كل لون ودين ، ويحسون آثارها فى أنفسهم وفيمن يحيط بهم من أهل وأقارب وأحبة "[2] ، وقد قل مدح الشاعر للشيب وزاد ذمة لديه والضجر منه، وتنوعت طرق التعبير عن ذلك فى شعره .

دواعى الشيب : تعددت دواعى الشيب المبكر لدى الشاعر ، وتمثلت فى : كثرة الهموم والمحن والخطوب ووفرة الأهوال وأحوال الدهر وتفاقم الحوادث وشدة الحروب .

فمما بكر على أبى تمام بالشيب كثرة الهموم وأهوال الدهر ، خاصة حين رأى أولى شعراته بيضاء قد خطها الشيب ، يدرك حينئذ أنها بداية الطريق إلى المشيب وأنه سوف تتبعها شعرات وشعرات،..

ويقول فى قصيدة يمدح بها الحسن بن سهل[3] :ـ

ست وعشرون تدعونى فأتبعها إلى المشيب ولم تظلم ولم تحب

فهو يقول : إن ما مضى من عمرى على قلته لا ينكر معه شيبى لأننى قاسيت من أهوال الدهر ما لا يتحمله أحد ، فظهور الشيب فى مفرق رأسه ناشئ عن هذه الهموم وتلك الأهوال والأخطار .

---

(1) نقد كتاب الموازنة بين الطائيين د/ محمد صالح ط٢ سنة١٤٠٨ دار الكتاب العربى بيروت ص٢٤٠ .

(2) قضية الزمن فى الشعر العربى د / فاطمة محجوب ط دار المعارف ص٨ .

(3) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص٣٧ .

ويشير فى نموذج آخر إلى أنه ما شاب من كبر السن ، ولكن الهموم ولواعج الفراق هى التى شيبته ، فيقول فى قصيدة يمدح بها أبا عبدالله أحمد بن أبى دؤاد[1]:ـ

شاب رأسى وما رأيت مشيب الـ ـراس إلا من فضل شيب الفؤاد

ويشير فى بيت آخر إلى أن ما نزل به من الحوادث ، وصب عليه من الهموم شئ كثير ، فشاب من غير كبر ولا شيخوخة فيقول فى قصيدة يمدح بها أحمد بن أبى دؤاد [2]:ـ

نال رأسى من ثغرة الهم داء لم ينله من ثغرة الميلاد

ويوضح فى بيت آخر أن سبب ظهور الشيب فى رأسه هو أهوال الليالى وأحوالها ، فيقول [3]:ـ

فإن تسألين من يخط حروفه فأيدى الليالى تستمد بأنفاسى

ويقول فى بيت آخر [4]:ـ

عدل المشيب على الشباب ولم يكن من كبرة لكنه من يأس

يشير الشاعر فى هذا البيت إلى أن المشيب قد عدل على شبابه برجاء الممدوح إذ كانت السن لا توجبه وإنما كان من غم فلما أكرمه الممدوح وقف فعدل بوقوفه وانتهائه ، أى أن الشباب عاد إليه مرة أخرى حين نال عطاء الممدوح .

ومن دواعى الشيب المبكر فى شعر أبى تمام الحروب والمعارك وأهوالها ، يقول فى قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى[5] :ـ

شننت عليهم الغارات حتى لشيَّب شنها رأس الوليد

---

(1) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص٢١٥ .

(2) السابق جـ١ ص٢١٦ .

(3) الديوان جـ٤ ص٥٩٧ .

(4) الديوان جـ٢ ص٢٥٢ .

(5) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص٣٢٢ .

فالشاعر يبين أثر الممدوح فى حربه مع أعدائه حين شن علـــيهم، فقد كان لقوة غارته عليهم أن هذه الحرب وتلك المعركة شـــيبت رأس الوليد ، ويشير شارح الديوان إلى أن البيت مأخوذ من قول حسان بـــن ثابت[1]:ـــ

إذن والله نرميهم بحـــرب تشيب الطفل من قبل المشيب

ويقول أبو تمام فى بيت آخر[2]:ـــ

سبق المشيبَ إليه حتى ابتزه وطنُ النهى من مفرق وقذال

فيشير إلى أن هذا الصارم أى السيف سبق المشيب فى قطـــع رأس الفتى الذى هو موطن العقل لديه ، ويصور كأن سباقاً جرى بين السيف الصارم وبين الشيب فى الفتك برأس الفتى .

وبعد أن بين الشاعر دواعى الشيب لديه ولدى الإنسان بصفة عامة آثر أن يقف مع القارئ على سلبيات الشيب فأشار إلـــى أن أهـــم تلـــك السلبيات عنده هو عزوف الغوانى وصدودهن عنه بعد أن ظهر الشيب فى رأسه فيقول إن كان الظبى الوحشى يجزع منى إذا دنوته ، فظبـــاء الإنس أشد جزعاً من شيب رأسى[3] :ـــ

لئن جزع الوحشى منها لرؤيتى لإنسيُّها من شيب رأسى أجزع

ولما رأت الغوانى شيب رأسه حزنت ، وعاد إعجابها به وحـــسن تقديرها له إنكاراً عليه ، يقول [4] :ـــ

أبدت أسىً أن رأتنى مخلس القصب وآل ما كان من عُجب إلى عَجب

---

(1) شرح ديوان أبى تمام لمحمد محيى الدين عبدالحميد جـ١ ص٣٢٢ .

(2) الديوان جـ٣ ص١٤١ .

(3) الديوان جـ٢ ص٣٢٣

(4) شرح الديوان جـ١ ص٣٧ .

ويقول أبو تمام إنه كانت هناك صلة وثيقة بينه وبينهن أساسها اللين والإيناس ، ولكن سرعان ما تغير ذلك حين رأين الشيب يخط فى رأسى ففجر ذلك فى قلوبهن قشعريرة [1]:ـ

جرت فى قلوب الغانيات لشيبتى قشعريرة من بعد لين وإيناس

ولما رأت تماضر ولعوب ـ من أسماء النساء ـ أن الشيب قد لعب بمفرق رأس الشاعر بكيتا لذلك ولم يستحسنا رؤيته ، وحين خضب شعره بكت دماً حتى خضبت وجهها وأعلى صدرها ، يقول أبو تمام[2]:ـ

لعب الشيب بالمفارق بل جدَّ فأبكى تماضراً ولعوباً
خضبت خدها إلى لؤلؤ العقـ ـد دماً أن رأت شواتى خضيبا

ويشبه حال طالب مساعى القوافى بحال رجل وخط الشيب رأسه فراح يتودد إليهن فلم يستجبن له لظهور الشيب برأسه ، فيقول[3] :ـ

يا طالباً مسعاتهم لتنالها هيهات منك غبار ذاك الموكب
أنت المعنى بالغوانى تبتغى أقضى مودتها برأس أشيب

ويشبه الشاعر الشيب بالثغام ـ وهو نبات أبيض ـ يخاطب نسيب هذا النبت الأبيض فيقول له إن وجود الشيب حول الحسنات عند الغوانى ذنوباً ، وإن كن قد فارقننى وجفوننى فإن الشيب وحده يكفينى مؤنة البحث عن سبب لما صنعته ، وإن الله تعالى لو رأى فى الشيب خيراً جاورته الأبرار فى الخلد شيبا ، يقول[4] :ـ

يا نسيب الثغام ذنبك أبقى حسناتى عند الغوانى ذنوبا
ولئن عبن ما رأين لقد أنكر ن مستنكراً وعبن معيبا
أوتصدعن عن قلىً لكفى بالشـ ـيب بينى وبينهن حسيبا

---

(1) الديوان جـ٤ ص٥٩٧ .

(2) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص٦٤ .

(3) السابق جـ١ ص٣٢ .

(4) السابق جـ١ ص٦٤ .

لو رأى الله فى الشيب خيراً جاورته الأبرار فى الخلد شيبا

وهذا ما جعله يشير إلى أن المتوجعين له والراثين لشبابه الراحل يظهرون الشفقه عليه والتفجع له لظهور شيبه فيقول [1]:ـ

زارنى شخصه بطلعة ضيم عمرت مجلسى من العواد

الدفاع عن الشيب

على الرغم من أن أبا تمام ذكر للشيب سلبيات فإنه قد دافع عنه فى أبيات أخرى ، ويتمثل هذا الدفاع فى أنه واعظ للإنسان وزاجر له، وينبغى حينئذ أن يلوم الإنسان نفسه ويترك الدنيا فليس له من مطامعها ولا عليه من شرورها وآثامها ، يقول [2]:ـ

ألم يأن تركى لا علىّ ولا ليا وعزمى على ما فيه إصلاح حاليا؟
وقد نال منى الشيب وابيض مفرقى وغالت سوادى شهبة فى قذاليا
وحالت بى الحالات عما عهدتها بكرِّ الليالى والليالى كما هيا

والشيب ينهى عن الصبابة ، فيقول فى مطلع قصيدة يمدح بها محمد بن يوسف [3] :ـ

ملامك عنى ـ لأبالك ـ واقصدى كفاك ملامى وعظ شيب مفند

فأبو تمام يقول : كفى عنى واقتصدى واعتدلى وكفاك ملامى ، فقد أغناك عن لومى ما تشاهدينه من الشيب الذى ينهى عن الصبابة.

ويقول إن الخضاب لا فائدة منه فهو زيف ، ويصور حال من يصف إخوانه الوداد فى الظاهر ويغطى نفسه بالخديعة ، ثم لا يلبث أن تظهر حقيقته ، وضرب نصول المشيب وظهوره بعد أن كتموه بالصبغ مثلاً لذلك [4] :ـ

---

(1) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص٢١٦ .

(2) الديوان جـ٤ ص٦٠٠ .

(3) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص٤٤٩

(4) السابق جـ١ ص٩٤ .

يتغطـــى عنهـــم ولكنـــه تنـــ ـــصل أخلاقه نصول المشيب

وهذا ما جعله يقول فى بيت آخر : إننى الآن أنكر بيـــاض شـــعر رأسى لأنه حادث فجائى، ولو قد طال عهـــدى بـــه لألفتـــه وكرهـــت فراقه[1]:ـــ

طال إنكارى البياضَ وإن عُمِّرْ تُ شيئاً أنكرتُ لون الســـواد

وهكذا رأينا أبا تمام قد تناول الشيب من جوانب متعـــددة ، تحـــدث أولاً عن دواعيه وأسبابه فأشار إلى أنها تكمن فى الهموم وأهوال الليالى وأحوال الدهر وحوداث الأيام ، وتحدث ثانيا عن أهم ســـلبياته وتتمثـــل فى عزوف الغوانى وصدودهن ، حيث جزعن مـــن رؤيتـــه وحـــزن لظهوره وبكين دماً حين رأين الخضاب فى الرأس فآثرن النـــأى، ولـــم يستجبن عن أن يتوددن لهن ، وختم الشاعر حديثه عن الشيب بالـــدفاع عنه ، حيث عدّه واعظاً وزاجراً للإنـــسان ، وناهيـــا عـــن الـــصبابة والغوانى ، وكاشفاً زيف ما يصنعه الخضاب فى مفارق الـــرأس مـــن خداع وزيف وتضليل .

مرحلة الصبا والفتاء

وردت بعض النماذج القليلة فى التعبير عن هذه المرحلة التى تسبق مرحلتى الشباب والمشيب ، منها قوله فى قصيدة يمدح بها مالـــك بـــن طوق التغلبى [2]:ـــ

من كل ريم لم ترم سوءً ولم تخلط صبا أيامهـــا بتصـــاب

فهذا البيت له صلة بالأبيات الثلاثة السابقة التى يتحدث فيهـــا عـــن زينب ورباب وقد شبههما بقمرين ، وفى هذا البيت يتحدث عن أن كـــل واحدة منهما كظبية بيضاء خالصة البياض لم تطلب سوءاً ، ولم تخلـــط الصبوة والفتوة بتكلف الصبا والتظاهر به ، ثم يقول بعد بيتين[3]:ـــ

---

(1) شرح ديوان أبى تمام جـــ١ ص٢١٦ .

(2) السابق جـــ١ ص٤٧ .

(3) السابق جـــ١ ص٤٧ .

أو ما رأت بُردىّ من نسج الصبا ورأت خضاب الله وهو خضابى

فيريد أنه لا يزال فى ريعان شبابه وميعة فتائه ، وقصد بخضاب الله سواد شعره .

ومن أبياته التى تحدث فيها عن الصبا قوله من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى[1] :ـ

قد عهدنا الرسوم وهى عكاظ للصبا تزدهيك حسنا وطيبا

ومن نماذجه التى تحدث فيها عن الفتاء وهو طراءة السن ، وهو غير الفتوة التى تكون فى الأخلاق قوله من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب [2]:ـ

ضم الفتاء إلى الفتوة برده وسقوه وسمى الشباب الصيِّب

فالشاعر جمع فى الممدوح بين الفتاء ـ وهو طراءة السن ـ والفتوة ـ التى هى تكون فى الأخلاق كناية عن ثبوت هاتين الصفتين له .

ويقول أبو تمام فى بيت آخر له يمدح فيه الفضل بن صالح الهاشمى [3]:ـ

لا تفت تزجى فتى العيس ساهمة إلى فتى سنها منها وقارحها

فالشاعر يصف الممدوح بأنه حديث السن ، ولكن عقله عقل الشيوخ ، وتجربته تجربة المحنكين الذين بلوا الدهر وخبروا أحواله ، ومثل هذا قول الشاعر يرثى خالد بن يزيد الشيبانى [4]:ـ

فأودى الندى ناضر العود والـ فتوة مغموسة فى الفتاء

---

(1) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص٦٣ .

(2) السابق جـ١ ص١٠٠ .

(3) السابق جـ١ ص٢٠٩ .

(4) الديوان جـ٤ ص١٤ .

مرحلة الكهولة

تحدث أبو تمام عن الكهولة حديثاً موجزاً جداً فى ديوانه ، حيث وردت له ثلاثة نماذج ، الأول منها قوله من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى [1] :ـ

كهول وشبان إذا قام فيهم خطيب رمى عن منطق غير مجلج

والإجلاج هو القلق والاضطراب .

والنموذج الثانى قوله من قصيدة يمدح بها محمد بن يوسف[2] :ـ

ولو ملك الناؤون عنك نفوسهم لأمَّك منهم كلّ كهل وأمرد

أى لو ملك البعيدون عنك نفوسهم لقصدك منهم كل كهل وأمرد ، وهو يقصد جميعهم .

والنموذج الثالث قوله من قصيدة [3] :ـ

ولولا رجائى واتكالى على الذى توحد لى بالصنع كهلاً وناشيا

ومن خلال عرضنا الموجز لهاتين المرحلتين يتبين لنا أن الشاعر قد صب اهتمامه كله على مرحلتى الشباب والمشيب وأفاض فى الحديث عنهما ، ولم يتحدث كثيراً عن مرحلة الصبا والفتاء لأنه كان دائم الترحال ، لم يعرف الاستقراء حتى يقف على هذه المرحلة بالاطناب والإسهاب فى الحديث عنها ، فقد تعلم الشعر بمصر ثم رحل إلى الموصل ، ثم قدم العراق ، ثم رحل إلى خراسان ، ولم يتحدث كذلك بكثرة ووفرة عن مرحلة الكهولة لظنه سابقاً أن الموت ينتظره بين الحين والحين وهو فى مرحلة شبابه ومشيبه ، وأنه لم يكن سليم البنيان ، وكان يعانى من مرض جسدى ومرض داخلى عمق عنده الإحساس بالموت الذى حاصره حصاراً شديداً .

([1]) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص١٩٧ .

([2]) السابق جـ١ ص٤٥١ .

([3]) الديوان جـ٤ ص٦٠٢ .

المبحث الثالث
الزمن وموضوعات الشعر لدى الشاعر

للزمن صلة وثيقة بالأغراض الشعرية لدى الشاعر حيث شاع ومفرداته فى هذه الأغراض شيوعاً متبايناً فوجد بكثرة فى غرض المدح والرثاء والوصف والعتاب والهجاء وكل فى الغزل والفخر والزهد .

أولاً :الزمن وقصيدة المدح

يحاكى الشاعر فى المدح والرثاء الإنسان بإعتباره نموذجاً لجنسه أى أن الفارقة بين هذين الغرضين فارق عرضى يكمن فى تغير الزمن أو وضع (يكون) موضع (كان) لكن الجوهر واحد [١].

وإن من يتصفح قصائد المدح فى ديوان الشاعر يرى أن له منهجاً خاصاً فى مدح ممدوحيه ، حيث لم يقف عند مدح الملامح الجسدية أو النفسية فى الممدوح وإنما كان يمدح المُثل العليا فى الإنسان بصفة عامة ممثلة فى جوهر الممدوح فهو يقف منه عند الجانب الروحى والخلقى الذى أشار إليه قدامة بن جعفر من أن صفات المدح هى العقل والشجاعة والعدل والعفة وأن المدح الجيد لا يكون إلا بها وبالصفات النفسية التى هى أمهات الفضائل [٢] .

ومن ثم كان أبو تمام يختار ممدوحيه اختياراً حسناً ، فكان منهم الخليفة والوزير والقائد والكاتب والشاعر ، وكانت مشاعره وأحاسيسه نحوهم صادقة لأنه يمدح فيهم المثل العليا ويبدى فيهم جوهر الإنسان وفضائله الكريمة .

([١]) نقد الشعر لقدامة بن جعفر تحقيق وتعليق د / محمد عبدالمنعم خفاجى ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت لبنان ص ١١٨.

([٢]) السابق ص٤٨ .

ولنتأمل هذه الصورة التى تمثل الجود والكرم قبل أن تمثل الممدوح (إسحاق بن إبراهيم المصعبى) [1]:

إذا المكارم عُقَّت واستُخفف بها أضحى السَّدى والندى أماله وأبا

يقول الشاعر إن الناس إذا لم يحفلوا بمكارم الأخلاق ــ كالجود والكرم ــ ولم يبروها فرفضوها واستخفوا بشأنها فإن الممدوح يبرها ويحرص عليها كما يبر الرجل أمه وأباه ، وقوله (أضحى) هو زمن الفصل بين عقوق الآخرين واستخفافهم بمكارم الأخلاق وبين تمسكه ببرها والتمسك بأمرها .

وصورة أخرى من صور الجود الذى يمدحه فى أبى سعيد محمد ابن يوسف الثغرى قبل أن يمدح الممدوح نفسه[2] :

سبق الدهرَ بالتلاد ولم ينـ ـظر النائبات حتى تنوبا

يصف الممدوح بأنه لا ينتظر نزول حادثة من حوادث الدهر بإنسان فيجود له ، ولكنه يعطى عفواً ومن غير أسباب توجب العطاء، وتبدو براعة الشاعر هنا فى أنه يسابق الدهر (وهو زمن) بالجود والعطاء والنوال قبل أن يحل على الإنسان بحوادثه ونوازله .

ويمتدح أبو تمام الكرم فى الحسن بن وهب فيقول [3]:

فلأعرضن عن الخطوب وجورها ولأصفحن عن الزمان المذنب

يقول الشاعر إنى إذ تيقنت أنى صرت من خاصتك أيها الممدوح ، وإذ قد أرغدت عيشى فإنى سأعرض عن أحداث الدهر فلا أباليها وسأتجاوز عن جور الزمان وأصفح عنه ، وأترك الذنوب التى جناها على فلا أعدها عليه ، فالدهر والزمان قد تكالبا عليه وأحدثا به ما أحدثا من جور وظلم ، وهو قد تغاضى عما لقيه منهما حين عاش فى كنف الممدوح وعطائه .

([1]) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص٥٤.

([2]) السابق جـ١ ص٦٥

([3]) السابق جـ١ ص٨٦ .

وثمة نموذج آخر من نماذج الشاعر التى تبدو فيها الصلة الوثيقة بين المدح والزمن ، يقول فيه مادحاً أبا جعفر محمد بن عبدالملك بن أبى مروان الزيات [1]:

هَمٌّ سرى ثم أضحى همةً أمماً أضحت رجاءً وأمست وهى لى نشب

تبدو الرحلة الزمنية فى هذا البيت فى قوله (سرى : والمراد به السير ليلاً ، أضحى ، أضحت ، أمست) ، فالشاعر كان فى الليل مهموماً كئيباً ثم فكر فيما يزيل به هذا الهم فأسرى إلى الممدوح فأصبح فى ذراه وقد صار هَمَّه همَّةً ثم أضحى وقد صارت الهمة رجاء ، ثم لقيه فأمسى وقد صار الرجاء مالاً ناله منه ، واستخدم الشاعر هذه المساحة الزمنية الواسعة ليشير من خلالها إلى سعة جودة وواسع عطائه .

ويستمر الشاعر فى وصف عطاء ممدوحيه وجودهم فى أبياته التى يستخدم فيها ألفاظ الزمن ومفرداته ، فيقول فى أبى سعيد محمد بن يوسف الثغرى[2] :

ذمت سماحته الدنيا إليه فما يُمسى ويُصبح إلا وهو ممدوح

جمع الشاعر فى وصف عطاء الممدوح وجوده بين عنصرى الزمن : يُمسى ويصبح ليشير من خلالهما إلى أن جود الممدوح قد بغض الدنيا إليه ، فلم يبق لها عنده قدر ، فهو من أجل ذلك لا يمسك يده عن عاف أو طالب حاجة ومن كان هذا طبعه انطلقت الألسنة بالثناء عليه وامتداح أياديه .

ويصف الشاعر الكرم الفائق الحد والشجاعة النادرة التى كان عليها خالد بن يزيد بن مزيد ، فيقول [3]: ــ

بأسمح من صوب الغمام سماحة وأشجع من صرف الزمان وأنجد

([1]) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص١٢٥.

([2]) السابق جـ١ ص٢٠٣.

([3]) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص٢٩٥ .

فلم يقتصر الشاعر على وصف الممدوح بأنه أسخى بماله من الغمام بالمطر ، بل وصفه بأنه أشجع من صرف الزمان الذى لا يجبن عن النزول بأحد ولا يقف فى وجهه أحد .

ويمدح الرأفة وكثرة العطاء فى أبى سعيد محمد بن يوسف الثغرى فيقول[1] :

إن غاض ماء المزن فِضت وإن قست كَبِدُ الزمان علىَّ كنتَ رؤوفا

ولم يقتصر الجود على أبى سعيد محمد بن يوسف الثغرى بل رآه الشاعر فى أبى دلف القاسم بن عيسى العجلى الذى شبَّت الأيام بجوده وعاد إليها الحُسْن وماءُ الشباب بعد أن كانت هرمت ، يقول[2] :

بجوده انصاتت الأيام لابسة شرخ الشباب وكانت جِلَّةً شُرُفا

ويبدى اليوم وتظهر اللحظة عطاء المعتصم لأوليائه وعقابه لأعدائه فى الحرب فى قول الشاعر [3]: ــ

إذا كان فخراً للمُدَّح وصفُه بيوم عِقاب أو ندى منه هامل

فكم لحظة أهديتها لابن نكبة فأصبح منها ذا عقاب ونائلِ

ولنتأمل هذه الصورة التى تمثل سمو الممدوح ورفعته وشرف نسبه والتى استخدم فيها الزمان التليد ليدلل على أن النسب البالى الرث هو الذى يكون شرفه حديثاً لاتنميه آباء وجدود وسادة ، وكلما قدم عهد الشرف كان ذلك أدل على سموه ورفعته ، يقول فى مدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى [4]: ــ

شرف على أولى الزمان وإنما خَلَقُ المناسب ما يكون جديداً

ويعقد موازنة بين ممدوحه (محمد بن عبدالملك الزيات) وبين بعض الملوك ، مستعيناً بمفردات الزمن المتعددة وهى (مغداك : وقت

---

(1) ديوان أبى تمام جـ٢ ص٣٨٣ .

(2) السابق جـ٢ ص٣٦٣ .

(3) السابق جـ٣ ص٨٠ .

(4) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص٢٥٥ .

الغدو ، والسُّرى : أى السير لـيلاً ، والأوان : أى الوقـت ، والوقـت القريب ، والدهر ، واليوم) فيقول [1]:

أيـها الغيث حَيِّ أهلاً بمغدا ك وعند السرى وحين تنوب
لأبى جعفر خلائـق تحكيهـ ـن قد يشبه النجيبَ النجيبُ
أنت فينا فى ذا الأوان غريب وهو فينا فى كل وقت غريب
ضاحك فى نوائب الدهر طلق وملـوك يبكـون حين تتوب
ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ
كل يـوم لـه وكـل أوان خلـق ضاحك ومـال كثيب

فالممدوح بجانب كونه يشبه أبا جعفر فى خلائقه ، فإنه لا يحفـظ المال ولكن يتركه نهباً للعطاء والبذل حين تنزل النوائب على غير عادة الملوك الذين يضجون ويفزعون إذا حلت بهـم وبـساحتهم الخطـوب النازلة بالناس وطلبوا منهم تفريجها منهم ، والبيت الأخير يشبه صـدر بيت لأبى نواس يقول فيه[2] : ـ

تبـكى البـدور لضحكه والسـيف يضحك إن عبس

ومن الصفات التى ركز عليها أبو تمـام فـى ممدوحـه (القـوة والصلابة) ، وقد وضحها من خلال حديثه عن أحداث الزمان وملماته وخطوب الدهر ونوازله بالناس ، وكيف أن الممدوح حُبيش بن المعافى قاضى نصيبين ورأس العين أذهبها عن الناس فلم تصب أحداً، وأصلح ما أفسده الدهر من أحوالهم ، ووضح لهم حقائق الأمور وأبعـد عـنهم لبسها، وقد كان للزمن ومفرداته (الدهر والفجر) أثر فى بيـان قـوة وصلابة ممدوحه .

ومن الصفات التى عرض لها أبو تمام فى قصيدة المدح (البـسالة والشجاعة) يصف بهما رجالاً منسوبين إلى يوسف الثغرى فـى يـوم

([1]) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص١٥٦ ، ص١٥٧ .

([2]) شرح ديوان أبى نواس ضبط معانيه وشروحه وأكملها إيليا الحاوى منـشورات دار الكتاب اللبنانى مكتبة المدرسة ط أولى سنة١٩٨٣م جـ٢ ص٤٣ .

الروع أى زمن الفزع والخوف فيشير إلى أن من رأى إقدامهم وجراءتهم ظنهم هوجاً أى يمضون فى أمورهم بغير روية ولا أناة ، ولكنها البسالة النادرة والشجاعة التى تفوق الحد فيقول [1]:ـ

ويوسفيين يوم الروع تحسبهم هوجاً وما عرفوا أفناً ولا هوَجَا

ويمتدح (الصبر) أمام اليوم العبوس المهيج فى بيت من قصيدة يمدح بها قوم أبى سعيد محمد بن يوسف الثغرى فيشير إلى أنهم يذخرون الصبر ويجعلونه ذخيرة يرجعون إليه عند الحاجة فيقول[2] :ـ

ونحن أناس نذخر الصبر للأسى ونهتاج لليوم العبوس المهيِّج

ويمدح فيه علو صوته فى الأمر والنهى إذا لم يكن لغيره أمر أو نهى[3] فيقول : ـ

ذاهب الصوت ساعة الأمر والنهـ ى إذا قل هَدْرُ الفنيق

ويمدح أبو تمام القوة والأمن فى أبى عبدالله أحمد بن أبى دُؤَاد فيشير إلى أنه قوة لمن استنجد به وأمن لكل فزع خائف فيقول[4] : ـ

بمعرس العرب الذى وجدت به أمن المروع ونجدة المنجود

وأصل التعريس هو النزول ليلاً .

ويمدح ابن أبى دؤاد فى صبره وجلده فى طلب المجد والسمو ، وصولته على صروف الزمان وفتكه بها وأنه حصن للشاعر من نوازل الدهر وريب كل راب أو حادث جبار فيقول [5]:ـ

والفتى من تعرقَته الليالى والفيافى كالحية النضاضِ
كل يوم له بصرف الليالى فتكة مثل فتكة البرَّاض
ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ

---

(1) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص١٨٩ .

(2) السابق جـ١ ص١٩٤ .

(3) ديوان أبى تمام جـ٢ ص٤٣٦ .

(4) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص٢٣٨ .

(5) الديوان جـ٢ ص٣١٠ ، ص٣١٢ ، ص٣١٥ .

أنت لى معقل من الدهر إن را ب بريبٍ أو حادث مضَّاض

فالشاعر يشير إلى أن الفتى هو الذى تعرقته الليالى ، أى أخذت ما عليه من اللحم ، والعرب يثنون على الهزال إذا كان فى طلب مجد وسمو ، ويذمون السِّمن ، ويشبهون الرئيس بالحية إذا أرادوا به أنه مهيب يحمى جانبه ، وأن الفتى الحقيقى هو الذى يكون له بصرف الليالى فتكة كفتكة البرَّاض وهو ابن قيس الكنائى الذى قتل عروة الرحال فى غير حرب ، فجرَّ ذلك حرب الفجار التى كانت بين قيس وكنانة وشهدتها قريش ورئيسها حرب بن أمية ، والفتك : أن يجئ الرجل إلى آخر وهو آمن منه فيقتله جهاراً .

ويمدح النصح والإرشاد والإنقاذ فى أبى المغيث موسى بن إبراهيم فيقول[1] :

فكأنهم بالعجل ضلوا حقبة وكأن موسى إذا أتاهم موسى

فموسى الأول هو الممدوح ، وموسى الثانى هو سيدنا موسى عليه السلام ، يقول الشاعر كأنهم قوم موسى حين ضلوا مدة بالعجل فأنقذهم من ضلالهم موسى لما رجع إليهم بعد الميقات ، فضلال هؤلاء كضلال قوم موسى بالعجل فأرشدتهم وأنقذتهم .

ويتخذ الشاعر من المعتصم بالله وقاية له من كروب الدهر ونوازله فيقول [2]:ـــ

ليسقم الدهرُ أو تصحح مودته فاليوم أول يوم صحَّ لى أملُ

فيشير إلى أنه أمن بالممدوح من الدهر فأضحى لا يبالى أن يسقم له مودته أو يصححها ، وهذا الذى وضحه فى بيت آخر يمدح فيه مالك بن طوق ، فيقول[3] : ـــ

([1]) الديوان جـــ٢ ص٢٦٩ .

([2]) الديوان جـــ٣ ص١٨ .

([3]) الديوان جـــ٣ص٤٧ .

قل لابن طوق رحى سعد إذا خبطت نوائب الدهر أعلاها وأسفلها

فيشير الطائى إلى أن هذا الممدوح عماد لقومه يطيفون به ، وأومأ إلى أنه كأحد هذه الأرجاء التى كانت مشهورة عند العرب ، وهى قبائل تكون لكل قبيلة منهم أرض تحلّها وتحميها ومياه تردها ، تستدير بتلك البلاد ولا تظعن عنها فى شتاء ولا صيف ، وهى ست : اثنتان فى مصر ، واثنتان فى ربيعة ، واثنتان فى اليمن ، وقيل إن الأرجاء هى أرض مرتفعة مستديرة فشبهت القبيلة بها .

ولم تكن قصائد المدح عند الشاعر خلواً من الجمع بينه وبين بعض الأغراض الشعرية الأخرى له ، فقد جمع فى بعض أبياته بين المدح والغزل ، وفى بعضها بين المدح والوقوف بالأطلال ، وفى البعض الآخر بين المدح والحكمة وذلك فى الأبيات التى تضمنت الزمن ومفرداته .

فمن أبياته التى جمعت بين المدح والغزل قوله يمدح خالد بن يزيد بن مزير الشيبانى[1] :ـ

راحت غوانى الحى عنك غوانيا يلبسن نأياً تارة وصدودا

من كل سابغة الشباب إذا بدت تركت عميد القريتين عميدا

لما رأى أبو تمام الغانيات تجاسر على أن جعل شبابهن سابغاً كالبرد ، أى أن شبابهن يجرى فى جميع جسدهن .

ومن أبياته التى جمع فيها بين المدح والوقوف على الأطلال قوله يمدح مالك بن طوق التغلبى [2].

سلم على الربع من سلمى بذى سلم عليه وسم من الأيام والقدم

أى إنك إذا نظرت إلى الربع علمت أنه قد أتت عليه السنون والحقب .

---

(1) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص٢٥٢ .

(2) الديوان جـ٣ ص١٨٤ .

ومن أبياته التى جمع فيها بين المدح والحكمة قوله يمدح أبا سعيد بن يوسف الثغرى [1]:ـ

فما تترك الأيام من هو آخذ ولا تأخذ الأيام من هو تارك

ومما سبق يتضح لنا أن أبا تمام قد اختار ممدوحيه اختياراً حسناً حتى لا تكون مشاعره مزيفة وأحاسيسه كاذبة ، وأنه لم يقصد بمدحه لهم الوصف الجسدى والنفسى وإنما قصد مدح المثل العليا التى كانوا يتحلون بها ، هذا بالإضافة إلى أنه وقف بنا من خلال مدحه على شخصيته الشاعرة وشخصية عصره ، ولم تكن قصائده كلها خالصة للمدح بل تخللت بعضها موضوعات أخرى من شعره كالغزل والحكمة والوقوف على الأطلال .

ثانيـاً : الزمن والرثاء

قبل أن نتحدث عن الزمن ومفرداته فى شعر الرثاء لدى الشاعر، نعرض لقضية الموت عنده لنتعرف من خلالها على صلة الشاعر به ورأيه فيه وحنينه إلى الموت ومدحه له ، ونظرته إلى البين وعلاقة الموت به ، وصلة الموت بالشيب وتصويره للمآسى والنكبات التى تخلفها الحروب والمعارك .

والحق إن الشاعر كان على صلة وثيقة بالموت ، حيث إنه كان يعانى من مرض الكلى معاناة شديدة ينتظر بسببه الموت بين لحظة وأخرى ، وقد تنبأ بموته الخاطف أناس كثيرون منهم إسحاق الموصلى، والكندى الذى قال عنه : هذا رجل يموت قبل حينه لأنه حمل على كيانه بالفكر ، وقيل إن الدم ظهر فى عينيه من شدة التفكير فى الموت ومن ثم تنبأ الناس بموته[2] .

([1]) الديوان جـ٢ ص٤٦٢

([2]) ينظر : الموشح للمرزبانى تحقيق محمد على البجاوى ـ نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ص٤٠٧ .

ولما كان الشاعر ذا صلة وثيقة بالموت فقد رأى فيه أنه الجانب الآخر للحياة ، وأنه ليس مرحلة تأتى بعد مرحلة الحياة لأنه كامن فى الحياة وموجود بداخلها ، ومن ثم لم ينظر إلى الموت نظرة الجزع الذى يوقف الإنسان عن حركته فى الحياة ويغير من طرقه ودروبه فيها، وإنما ينظر إليه على أنه خلاص للإنسان من الآمه ، على الرغم مما ينزله الموت بالإنسان حيث يخلف لديه الحزن والأسى والمأساة التى تنزل به من ورائه .

ومن ثم كثرت ألفاظه التى تدور حول الموت والحزن والجرح والندب والبكاء والنكبات ومن شواهده الشعرية فى ذلك قوله يرثى خالد بن يزيد الشيبانى[1] :ـ

ألا أيها الموتُ فجعتنا بماء الحياة وماء الحياء

فهو يتألم لفقد من كان الناس يقيمون حياتهم به ، ومن كان يعطى الناس بلا سؤال، فيصون وجوههم عن الطلب بسبقه وعطاياه .

ويذكر الدهر والموت وأنه غالب فيقول فى رثاء غالب بن السعدى [2] :ـ

هو الدهر لا يُشوى وهُنَّ المصائب وأكثر آمال الرجال كواذب
فيا غالباً لا غالبٌ لرزية بل الموت لاشك الذى هو غالب

ويصف ما يفعله الموت بمحمد بن الفضل الحميرى حين وهب حسن وجهه للتراب فيقول [3] :ـ

أنزلته الأيام عن ظهرها من بعد إثبات رجله فى الركاب
ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ
قصدتْ نحوه المنية حتى وهبت حسن وجهه للتراب

---

(1) الديوان جـ٤ ص٩ .

(2) الديوان جـ٤ ص٤٠ .

(3) الديوان جـ٤ ص٤٦ .

ويتضح ذلك جلياً فى رثائه المفجع لمحمد بن حميد الطائى ، حيث يقول فيه [1] :ــ

فأثبتَ فى مستنقع الموت رجله وقال لها:من تحت إخمصك الحشر
غــدا غدوة والحمد نسج ورائه فلم ينصرف إلا و أكفافه الأجر
تردى ثياب الموت حمراً فما أتى لها الليل إلا وهى سندس خضر

وكما غلف الحزن الأبيات السابقة ، وانساب فيه انسياباً مقبضاً فقد أثر تأثيراً كبيراً فى المشاعر والأحاسيس فى أبياته التــى رثــى فيهــا ولدين صغيرين لعبدالله بن طاهر ، حيث وقف على فجأة الموت التــى تحرم الحياة ، فيقول[2] : ــ

إن الفجيعة بالريــاض نواضــراً لأجــلُّ منها بالريــاض ذوابــلا
لهفى على تلك الشواهــدَ فيهما لــو أمهلتَ حتى تكون شمائــلا
لغــدا سكونهما حجى وصباهما حلمــاً وتــلك الأريحيــة نائــلا

وما أشد الحزن الذى أطلقه فى الأبيات التى رأى فيها ولداً صغيراً وهو يحتضر [3].

إنى أظن البــلى لو كان يفهمــه صدَّ البلى عن بقايا وجهه الحسن
يــا موتةً لم تدع ظرفاً ولا أدباً إلا حكمت بــه لِلَّحْــدِ والكفن
لله ألحاظــه والمــوت يكسرها كأن أجفانه سكرى من الوسن
يــرد أنفاســه كرهــا وتعطفها يد المنية عطف الريح للغُصُن
ياهول ما أبصرت عينى وما سمعت أذنى فلا بقيت عينى ولا أذنى
لم يبق من بدنى جزء علمت به إلا وقــد حلّه جزء من الحزن

ويذكر أبو تمام الحنين إلى الموت فى رثائه لقحطبة، فيقول[4] :ــ

حنَّ إلى الموت حتى ظن جاهله بأنــه حنَّ مشتاقــاً إلى وطن

([1]) الديوان جـــ٤ ص٨١ .
([2]) الديوان جـــ٤ ص١١٤ ، ص١١٥ .
([3]) الديوان جـــ٤ ص١٤٦ .
([4]) الديوان جـــ٤ ص١٤٠ .

رأى المنايا حبالات النفوس فلم يسكن سوى الميته العليا إلى سكن
لو لم يمت بين أطراف الرماح إذاً لمات إذ لم يمت من شدة الحزن

فيشير أبو تمام إلى أن قحطبة كان يكره أن يموت حتف أنفه وعلى فراشه ، فلو لم يمت فى المعركة والرماح تتناوله لمات من شدة حزنه أنه لم يمت كذلك ، لأن الموت على هذا الوجه يعد فخراً .

وتشغل قضية الموت مساحة كبيرة فى ديوانه ، وأهم ما يوجب الوقوف عنده فى تلك المساحة هو كثرة الموتى فى أسرته ، فقد رثى زوجه ، ورثى ابناً له يسمى محمداً ورثى جارية له وله رثاء فى أخ له، وهذا يشير إلى أن أسرته كانت معطوبة ومكلومة ، وكان يوجد فيها نوع من الضعف يسرع بها إلى الموت .

فمن رثائه لزوجه ــ على خلاف بين النقاد والأدباء ــ قوله[1] :

لقد شرقتْ فى الشرق بالموت غادة تعوضتُ منها غربة الدار فى الغرب
وألبسنى ثوباً من الحزن والأسى هلال عليه نسج ثوب من التـرب
أقول وقد قالوا استراحت بموتها من الكرب روح الموت شر من الكرب
لقد نزلت ضنكاً من اللحد والثرى ولو كان رحب الذرع ما كان بالرحب
وكنت أُرجِّى القرب وهى بعيدة فقد نقلت بعدى عن البعد والقرب
لها منزل تحت الثرى وعهدتها لها منزل بين الجوانح والقلب

ومن قصائده التى تتمثل فيها قضية الموت فى صورتها المثلى فى تصوير اليأس والحزن قصيدته فى رثاء ابنه ، تلك القصيدة التى تعامل فيها أبو تمام تعاملاً جيداً مع الزمن بمراحله المتعددة الماضى والمضارع والمستقبل ، يقول فى بعض أبياتها [2]:ــ

كان الذى خفت أن يكونا إنا إلى الله راجعونا
أمسى المرجى أبو على مؤسداً فى الثرى يمينا
حين استوى وانتهى شبابا وحقق الرأى والظنونا

---

(1) الديوان جـ٤ ص٥٣ ، ص٥٤ .

(2) الديوان جـ٤ ص٦٧٧ : ص٦٨٠ .

أصـــبت فيـــه وكان عندى ... على المصيبات لى معينا
كنت كثيـــراً بـــه عزيـــزاً ... وكنت صَبَّـــاً بـــه ضنينا
دافعت إلا المنـــون عنـــه ... والمـــرء لا يدفع المنونا
آخر عهدى بـــه صريعـــاً ... للموت بالـــداء مستكينا
إذ شكـــا غصـــة وكربـــا ... لاحـــظ أو راجع الأنيـــنا
يدير فى رجعـــه لسانـــا ... يمنعـــه المـــوتُ أن يبينا
يشخص طوراً بناظريـــه ... وتـــارة يُطبق الجفـــونا
ثم قضى نحبـــه و أمسى ... فى جـــدث للثرى دفينـــا

إلى أن يقول :ـــ

تصرف الدهر بى صروفا ... وعاد لى شأنه شؤونـــا
وحز فى اللحم بل بـــراه ... واجتث من طلحتى فنونا
أصـــاب منى صميم قلبى ... وخفت أن يقطع الوتينـــا
والمـــرء رهـــن بحالتيـــه ... فشـــدة مـــرة ولينـــا

سجل الشاعر فى هذه الأبيات لحظات الوداع التى ســيفارق فيهـــا الأب ابنه ، فوقف فيها عند كل لحظة من لحظات الـــزمن المتعـــددة ، فالزمن الماضى مثل قوله (كان ، أمسى ، كنت كثيراً ، وكنـــت حبـــاً، ودافعت) والزمن المضارع مثل قوله (يدير، يمنعه ، يبينا ، يشخص، يُطبق) والزمن المستقبل كقوله (المرجَّى) ، وقد عبر من خلال هـــذه اللحظات الزمنية عن حالة الفقد التى أصيب بها والمعاناة الشديدة التـــى عاناها ، خاصة عند ما رأى ابنه فى النزع الأخير فصرخ قائلاً (بُنى) تلك الكلمة التى أضحى بعدها مفرداً حزينا ، ولم يكن له أمام الموت إلا التسليم بقضاء الله وقدره فقال (إنا إلى الله راجعونا) ، فقصة الـــشاعر مع الموت كانت دامية ، والموت كان حوله وفى داخله ، وشـــعره فـــى الحرب كان مثالاً رائعاً فى وصف الدمار والحديث عن القتلى وتصوير

المآسى والنكبات التى خلفتها تلك الحروب ، والقصيدة التى قالهـا فـى فتح عمورية خير شاهد على ذلك ، يقول فى مقدمتها [1]:ـ

السيف أصدق أنباء من الكتـب فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصحائف فى متونهن جـلاء الشك والريب

فقد جاء حديث الشاعر عن هذا الفتح العظيم من خـلال اعتمـاده على مفردات الزمن التى أعانته فى وصـف المعركـة وتـصويرها ، والتى تتمثل فى (اليوم والأيام)[2] التى وردت فـى القـصيدة إحـدى عشرة مرة ، ولفظ (الدهر)[3] و(الليـالى)[4] و(الـضحى)[5] وجـاء مرتين ، و ألفاظ (العهد ، السنين ، الأمس ، والأعـصر ، وصـفر ، ورجب ، والصبح ، والدجى)[6] .

ومن نماذج الشاعر التى رثى فيها محمد بن حميد الطائى واصـفاً غدر الأيام به بأنه شيمة من شيمها فيقول [7]:ـ

لئن غدرت فى الروع أيامه به لما زالت الأيام شيمتها الغدر

ويشير فى نموذج آخر إلى أن الأيام قد فجعته بإهلاك هاشـم بـن عبدالله بن عبدالملك بن مالك الخزامى ، وخلفت لديه الحزن والجـوى ثم أخذت تلحظ ما فى إهلاكه وتشاركه فى حزنه ومصابه، فيقول[8] :ـ

ألم تريا الأيـام كيف فجعتنـا به ثم قد شاركتنا فى المآتم؟

---

(1) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص١٥ : ص٢٩ .
(2) السابق جـ١ ص١٦ ،١٧ ،١٩ ،٢٠ ،٢١ ،٢٢ ،٢٥ ،٢٩ .
(3) السابق جـ١ ص٢٠ ،٢٨ .
(4) السابق جـ١ ص١٨ ،٢٠ .
(5) السابق جـ١ ص ٢٠ .
(6) السابق جـ١ ص ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ١٦ ، ٢٠ .
(7) الديوان جـ٤ ص٨٤ .
(8) الديوان جـ٤ ص١٣٠ .

ويصور ما صنعته الأيام بأحمد بن هارون القرشى ، حيث إنها تفجع وتغدر ، وأن يومها عصيب ويبكى فيقول [1]:ـ

سأجزى بقاء أيام عمرى بين بثى وعبرتى واكتئابى
فيك يا أحمد بن هارون خضت ثم عمت رزيئتى ومصابى
فجعتنى الأيام فيك فأُنسى فى اختلالى وعصمتى فى اضطرابى
فجعتنى الأيام بالصادق النطـ ـق فتى المكرمات والآداب

ومما سبق يتضح لنا أن الشاعر أكثر من ذكر الزمن ومفرداته فى قصائد الرثاء ، وكثرت فيه بعض الألفاظ وقلت بعض المفردات الأخرى ، فكثر لفظ اليوم والأيام والدهر والزمان ، وقل لفظ الفتى والفتاء والعام والليل والشمس والمصيف والشتاء ، وهذا إن دل فإنما يدل على حسن استخدام الشاعر لألفاظه ومفرداته ووضعها فى مواضعها المناسبة .

ثالثاً : الزمن وشعر الغزل

الغزل هو المعنى الذى إذا اعتقده الإنسان فى الصبوة إلى النساء نسب بهن من أجله فكأن النسيب ذكر الغزل ، والغزل المعنى نفسه[2] :

و لأبى تمام مفهوم خاص عن الحب يختلف عن مفهوم غيره من الشعراء ، فالحب عنده عاطفة من العواطف التى تقوم عليها الحياة وليس كل الحياة .

وقد نتج هذا المفهوم لديه من خلال شخصيته الجادة التى لا تُقبل على اللهو والمرح لما مرَّ به فى حياته منذ صغره ، فقد أخذ يجتهد ويكد فى طلب العلم والعيش ، هذا بالإضافة إلى العصر الذى عاش فيه أبو تمام ، فقد كان عصر تعقل وضبط للعواطف ، ويضاف إلى ذلك أن الحب يتطلب إسقراراً اجتماعياً وتماسكاً بين فئات المجتمع المختلفة،

---

(1) الديوان جـ٤ ص٥١ .

(2) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص١٣٤ .

وهذا مما لا يتفق وطبيعة الشاعر التى لا تعرف الاستقرار إلا بمقدار[1] ، ومن ثم لم يعط له عناية واهتماماً كبيراً فى شعره ، ولم يتغن بالحسن إلا قليلاً ، وحظه من صدق اللوعة ضئيل [2] ،

ونماذج الشاعر الغزلية التى قيلت فى فلك الزمن ومفرداته ــ كاليوم والأيام والعام والأعوام والليلة والليالى والشمس والشباب ــ لا تعدو أن تكون حديثاً عن الأنثى بصفة عامة ، فيتحدث عن (زيانب) و (عواتك) لا عن زينب أو عاتكة بعينها ، وإن تحدث عن واحدة بعينها جعلها رمزاً لجنس المرأة[3] ، فيقول من قصيدة يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلى[4] :

لآلئ كالنجوم الزهر قد لبست أبشارها صدف الإحصان لا الصدفا

من كل خور دعاها البين فابتكرت بكراً ولكن غدا هجرانها نصفا

فهذه اللآلى قد لبسن صدف عفة ، أى عفائهن يحصنها كما يحصن الصدف الدر ، ولقد دعاها البين فأجابت وفارقتنا وهى حديث السن ، ولكن هجرانها قديم،أى إن وصلها عمره قصير وهجرانها عمره طويل.

والإنسان الغزل هو الذى يكشف عن الشمائل الحلوة والمعاطف الظريفة والحركات اللطيفة والكلام المستعذب والمزاج المستغرب [5].

ومن نماذج الشاعر التى تحتوى على المشاعر الصادقة والأحاسيس المتدفقة بالحب الصادق ، قوله من قصيدة يمدح بها عمر بن طوق ، وقد ضمنه بعض مفردات الزمان (ليلتنا ، ليلة ، شمس) [6] .

---

(1) أبو تمام وقضية التجديد فى الشعر د / عبده بدوى ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٥م ص٨٢ .

(2) الموازنة بين الشعراء لزكى مبارك ط الثالثة سنة ١٩٧٣ مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ص١٣٤ .

(3) أبو تمام وقضية التجديد فى الشعر ص٨٥ .

(4) الديوان جـ٢ ص٣٦٠ .

(5) مفهوم الشعر د/ جابر عصفور ص١٢٢.

(6) الديوان جـ١ ص٩٤ : ص٩٦ .

وأغن من دُعج الظباء مربَّب بُدِّلْــن منه أغــنَّ غير مربب
للــه ليلتنــا وكانــت ليلــةً ذخرت لنا بين اللوى فالشربب
قالت وقــد أعلقت كفى كفها حــلا وما كل الحــلال بطيب
فنعمت من شمس إذا حجبت بدت من نــورها فكأنها لم تحجب
وإذا رنت خلت الظباء ولدنها ربعية واسترضعت فى الربرب
إنــسية إن حصلت أنســابها جنيــة الأبــوين ما لم تنسب

ومن نماذج الغزل الرقيقة العذبة قول الشاعر ، وقد اســتخدم فيــه لفظ (الموت) الذى يعبر عن الزمان الخطى [1]:

أنت فى حل فــزدنى سقمــا أفنِ صبرى واجعل الدمع دما
وأرض لى الموت بهجريك فإن لم أمت شوقــاً فزدنــى ألما
محنة العاشق فى ذل الهوى وإذا اســتودع ســراً كتمــا
ليــس منــا من شكــا علته من شكا ظلــم حبيب ظلمــا

وللشاعر أبيات أخرى يصف المرأة حين كانت مسرورة ضــاحكة فلما شدَّ الشاعر رحله بدلت الضحك بالبكاء وأعرضــت برهــة فلمــا أحست بالفراق عادت إلى الوصل وقد فات ، فيقول فى بــدء قــصيدة يمدح بها ابن أبى دؤاد وقد ضمنها مفردتين من مفردات الزمن (يــوم، برهة)[2] : ــ

بــدلت عبــرة من الإيمــاض يوم شدُّوا الرحــال بالأغراض
أعرضت برهــة فلما أحســت بالنوى أعرضت عن الإعراض
غصبتهــا نحيبها عزمــات عصبتنى تصبــرى واغتماضى
نظرت فالتفت منها إلى أحــ ــلى ســواد رأيتــه فى بياض
يوم ولت مريضة اللحظ والجفــ ــن وليست دموعهــا بمراض

وثمة أبيات أخرى للشاعر قل أن نجد فيهــا حرقــة أو لوعــة أو جيشاناً ، ولكن نجد فيها أوصافاً مقبولة ، كقوله فى مطلع قصيدة يمدح

---

(1) الديوان جـ٤ ص٢٧٥ .

(2) الديوان جـ٢ ص٣٠٨ ، ص٣٠٩ .

بها محمد بن عبدالملك الزيات ، وقد ضمنه بعض ألفاظ الزمن ومفرداته (الحقب ، لدن بمعنى حين ، والشباب ، والفتى)[1] : ــ

قد نابت الجزع من أُروية النوب واستحقبت جدةً من ربعها الحِقب
ألوى بصبرك إخلاق اللوى وهفا بلبك الشوق لما أقفر اللبب
خفت دموعك فى إثر الحبيب لدن خفت من الكثب القضبان والكثب
من كل ممكورة ذاب النعيم لها ذوب الغمام فمنهل ومنسكب
أطاعها الحسن وانحط الشباب على فؤادها وجرت فى روحها النسب
لم أنسها وصروف البين تظلمها ولا معول إلا الواكف السرب
أدنت نقاباً على الخدين وانتسبت للناظرين بقد ليس ينتسب
ولو تبسم عُجنا الطرف فى برد وفى أقاح سقتها الخمرُ والضرب
من شكله الدر فى رصف النظام ومن صفاته الفتنتان الظلم و الشنب
كانت لنا ملعباً نلهو بزخرفه وقد ينفس عن جد الفتى اللعب

ويشير الدكتور عبده بدوى إلى أن أبا تمام كان يحكم عقله تحكيماً شديداً فى عاطفته بحيث يخرجها من البشاشة والبراءة والعفوية إلى عالم الترتيب والتقسيم والتساؤل والتلاعب بالكلام مما يفقد التجربة الكثير من حرارتها وظلالها [2]، كقوله من قصيدة يمدح المأمون وقد استعان ببعض مفردات الزمن مثل (الزمان ، وأعوام ، وأيام ، والسنون ، والإظلام) [3]: ــ

ولقد أراك فهل أراكِ بغبطة والعيش غض والزمان غلام؟
أعوامَ وصل كان ينسى طولها ذكرُ النوى فكأنها أيام
ثم انبرت أيام هجر أردفت بجوىً أسىً فكأنها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام
اتصعصعت عبرات عينك أن وعت ورقاء حين تصعصع الإظلام

---

(1) الديوان جـ١ص٢٣٩ .

(2) أبو تمام وقضية التجديد فى الشعر ص٩٠ .

(3) الديوان جـ٣ ص١٥١ ، ص١٥٢ .

لا تنشجن لهـــا فإن بكاءهـــا ضحك وإن بـــكاءك استغرام
هن الحَمامُ فإن كسرت عيافـــة من حـــائـــهن فإنهن حِمـــام

ومن أبياته فى هذا الباب قوله [1] : ــ

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى مـــا الحب إلا للحبيـــب الأول
كم منزل فى الأرض يألفـــه الفتى وحنينـــه أبـــداً لأول منـــزل

ومما تقدم يتضح لنا أن أبياته التى قالها فى الغزل واســـتعان فيهـــا بالزمن ومفرداته لم تكن ــ فى أغلبها ــ ريانة بالحب ولم يـــستطع أن يسبح فى بحر هذا الفن الشعرى أو يترنم به كما كان يترنم بـــه أمثالـــه من الشعراء من معاصريه ، ولم يتحدث عن امرأة بعينها ، بـــل كـــان حديثه عن جنس المرأة ، ومن ثم لم نجد لديه لهفة عارمـــة أو حنينـــاً جارفاً أو مشاعر فياضة أو عاطفة متقدة .

رابعاً : الزمن وشعر الهجاء

الهجاء هو محاكاة النقيض ، أو تقديم الصورة الكريهة التى تلفتنـــا ضمناً إلى فكرة الإنسان النموذج التى ينطوى عليها المديح والرثـــاء[2]، وكلما كثرت أضداد المديح فى الشعر كان أهجى له ، ثم تنزل الطبقات على مقدار قلة الأهاجى فيها وكثرتها[3] .

والهجاء لدى أبى تمام لم يكن ــ فى الغالب ــ فيه فحـــش ، ولـــم يكن الشاعر شديد الخصومة مع أنداده إلاّ مع بعض الشعراء وغيـــرهم كقران المباركى وعياش بن لهيعة ويوسف السراج، وكان هجاؤه يتمثل فى لونين : الأول هجاء خالص ويشمل هجاء الروم الذين كانوا يريدون

---

(1) الديوان جـــ٤ ص٢٥٣ .

(2) مفهوم الشعر . دراسة فى التراث النقدى د/ جابر عصفور ط الهيئة المـــصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٥ م ص١٠٨ .

(3) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ــ تحقيق د / محمد عبدالمنعم خفـــاجى دار الكتـــب العلمية بيروت لبنان ص١١٣ .

زعزعة الأمة آنذاك ، فبغضهم وسخر منهم فى قصائد عدة ، ويشمل كذلك بعض الشخصيات التى حاولت هدم الدولة والخروج عليها من الداخل كالأفشين الذى هجاه أبو تمام هجاء شديداً بعد أن كان قد مدحه من قبل .

واللون الثانى من الهجاء هجاء غير خالص ، وهو الذى جمع فيه الشاعر بين الهجاء وبعض الأغراض الشعرية الأخرى كالجمع بين المدح والهجاء ، والمدح والعتاب .

ومن نماذج الهجاء لدى الشاعر قوله فى هجاء الروم وقد ضمنه لفظ (أيامك ، وأيام)[1] : ــ

فبين أيامك اللاتى نصرت بها وبين أيام بدر أقرب النسب
أبقت بنى الأصفر الممراض كاسمهم صفر الوجوه وجلّت أوجه العرب

فالشاعر يتحدث عن بنى الأصفر وهم الروم من ولد العيص بن إسحاق بن إبراهيم ، ويقال : إنما يقال لملوك الروم بنو الأصفر لأن حبشياً كان غلب على بلادهم فنكح فيهم فولد له أولاد يخالط بياضهم صفرة من سواد ، فازدادوا بذلك حسناً ، ووصفهم الشاعر بقوله(الممراض) ليدل على أن صفرتهم كانت من مرض لا من خلقة ، فهم كثيرو المرض، واستعان الشاعر بمفردتى الزمن (أيامك، وأيام بدر) ليدلل من خلالهما قرب النسب بين أيام المعتصم وبين أيام بدر .

ومن هجائه الفاحش لمقران المباركى وقد استعان بمفردتى الزمن (الأيام ، وفتى) قوله[2] : ــ

أما والذى غشى المبارك خزية يغنّى على الأيام ركب بها ركبا
لقد ظل مقران يحك بعرضه قوافى شعر لو تديرها جُربا
إذا ما عصمت من رامها وسمالها أطاعت فتى عضبا يسوس حجاً عضبا

([1]) الديوان جـ١ ص٧٣ .
([2]) الديوان جـ٤ ص٣١٠ .

ويقول فيه [1]: ــ

إمرأة مقران ماتت بعدما شابا فحست السلعَ الفتيانُ والصابا
لم يبق خلق بباب الشام نعرفه بالفتك مذ هلكت إلا وقد ثابا
يا نكبة هشمت أنف السرور به وميتة أبقت العزاب عزابا

ويقول فى هجائه أيضاً [2] : ــ

ســأهجو الوغــد مقــران فــلا غــرو ولا بــدعــا
فتــى مــا إن تخلــت ذا تــــه من حيـــة تسعى
إذا مــا جــاعت الفيــش غــدت فى ذاتـــه تــرعى

وممن شملهم هجاؤه الفاحش عياش الحضرمى ، وقد أبان فيه مــا فعله الدهر به فيقول [3] : ــ

يا خلقة قد أمال الدهر أشطرها لم يكفها من عقاب الله تغيير
لم يخطئ الرأى غيلانُ وشيعته إن لم تكن أخطأت فيك المقادير
أمن نسيم الهجاء انفل حدكــم فكيف لو قد علت تلك الأعاصير

يريد أن غيلان أول من تكلم فى القدر ، لأن الكلام فى ذلك لم يكن فى صدر الإسلام وتفرغ من الكلام فيه القدرية ، فكأن الطائى ينــسب غيلان فى هذا البيت إلى أنه يقول إن الذى يُخلق خِلقة قبيحة أو يكــون له خلق مذموم غير منسوب إلى أن المقادير فعلته .

ومن نماذج الشاعر التى جمع فيها بين المدح والهجاء قوله يمــدح خالد بن يزيد ، ويهجو رجلاً فاخره لما عزل عن الثغور [4]: ــ

أضحى الشجى مستطيلاً فى حلوقهم من بعد ما جاذبوه وهو معترض
ظل من الله أضحى أمس منبسطا به على الثغر فهو اليوم منقبض
لخالــد عــوض فى كل ناحيــة منه وليس له من خالــد عوض
لــم تنتفض عروة منه ولا سبب لكن أمــر بنى الآمــال يــنتقض

---

(1) الديوان جـ٤ ص٣١٩ .
(2) الديوان جـ٤ ص٣٨٩ .
(3) الديوان جـ٤ ص٣٧٢ .
(4) الديوان جــ٢ ص٢٨٤ : ص٢٨٦ .

يقول الشاعر إن هؤلاء الشامتين قد نالوا ما أرادوا بعد أن كـانوا زماناً طويلاً فى طلبه ، فقدروا باستطالة على ابتلاعه ، لأن الشجى إذا اعترض تعذر ابتلاعه وإساغته ، وهذا العزل لم يؤثر فيه وفى أحوالـه ولكن فى زمر عفاته ، والشاعر يقصد بقولـه (مـستطيلاً) الزمـان الطويل الذى يظهر أن هؤلاء الشامتين كانوا يطلبون كرمه ومنحه زمناً طويلاً ، فكان أولى بهم ألا يقابلوا إحسانه بالإساءة إليه .

ومن النماذج التى جمع فيها بين المدح والهجاء قوله يهجو بغـداذ ويمدح سُرَّ مَنْ رأى ، وقد استخدم فيها لفظ (الدهر) فيقول [1] : ــ

لقـد أقـام على بغـداذ ناعيها فليبكهـا لخراب الدهـر باكيها
كانت على ما بها والحرب موقدة والنـار تطفئ حسناً فى نواحيها
ترجى لها عودة فى الدهر صالحة فالآن أضمر منها اليأس راجيها
مثل العجـوز التى ولَّت شبيبتها وبـان عنها كمالُ كـان يحظيها
لـزَّت بها ضرة زهـراء واضحة كالشمس أحسن منها عند رائيها

ومن نماذجه التى جمع فيها بين المدح والعتاب لعياش قولـه وقـد استعان بلفظ (الزمن) ليشير إلى قلة الجـود والعطـاء فـى زمـن الممدوح [2] : ــ

يا محب الإحسان فى زمن أصـ ـبح فيه الإحسان وهو بغيض
قل لعاً لا من عثرة مالهـا منـ ـها بشئ سوى نداك نهوض
لا تـكن لى ولـن تكون كقـوم عُودهم حين يعجمون رفيـض

يطلب الشاعر من الممدوح أن يقول كلمة ينعش بها العـاثر ، وألا يكون كقوم يحسنون العدات ويخالفونها بالقول ، ويشير إلى أن العـود إذا عُجم فتبيَّن منه خور أو مرارة فإنه يُرفض أى يترك .

ومن نماذجه التى يهجو فيها عتبة بن أبى عاصـم شـاعر أهـل حمص قوله مستخدماً لفظ (الساعة ، والزمان) [3] : ــ

---

(1) الديوان جـ٤ ص ٤٣٨ .
(2) الديوان جـ٢ ص٢٩٢ .
(3) الديوان جـ٤ ص٣٩٥ ، ص٣٩٧ .

يا عتبة ابن أبى عُصيمٍ دعوة شـــنعاء تصدم مسمعيك فتصعق
أخـــرسْت إذ عاينتنى حتى إذا ما غبت عن بصرى ظللت تشدق؟
وكذا اللئيم يقول إن نأت النوى بـــعدوه ويـــحول ســـاعة يُصدق
ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ
قوم إذا اسودَّ الزمان توضحوا فيـــه فغـــودر وهو منهم أبـــلق

يصف الشاعر سوء خلق عتبة بن أبى عاصم ــ بعد أن صغره فى قوله (عُصيم) ــ فيقول إنه إذا رآه سكت فلم ينطق وإن غـــاب عنـــه تشدق بالقول ، ويظل هذا اللئيم يصول بلسانه فى الوقيعة والثلب لعدوه إذا غاب وبعد عنه ، وإذا التقى معه وقابله بفعله ذاب .

وهكذا نرى أن الشاعر قد نوع فى نماذج الهجاء ، فلم تكن نماذجه خالصة للهجاء ، وإنما جمع بين الهجاء والمدح ، وبين الهجاء والعتاب فى نماذج أخرى ، ولم يقتصر فى هجائه على الخارجين علـــى الأمـــة والروم ، وإنما هجا بعض الـــشعراء كيوســـف المـــصرى ، وبعـــض الممدوحين كعياش وذلك فى إطار الزمن ومفرداته التى ناســـب بينهـــا وبين الهجاء .

خامساً : الزمن وشعر الوصف

الوصف هو ذكر الشئ كما فيه من الأحوال والهيئات ، ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشـــياء المركبـــة مـــن ضـــروب المعانى كان أحسنهم من أتى فى شعره بـــأكثر المعـــانى التـــى يكـــون الموصوف مركباً منها ثم بأظهرها فيه وأولاها حتـــى يحكيـــه بـــشعره ويمثله للحسن بنعته [1].

وإذا كان الشعر قبل العصر العباسى كفن العمارة جلـــيلاً وهـــائلاً ويغلب عليه العنصر الحسى ، ويقوم على التجاور لا التناغم ، ثُم أخـــذ الشعر يأخذ شكل النحت الذى يبرز فيه الجانب الإنسانى بحيث يتـــواءم

([1]) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص١٣٠ .

فيه الشكل مع المضمون فإن الشعر فى العصر العباسى أخذ تـــدريجياً طابع الرسم ، حيث وضح فيه عنصر الزمان والحركة ، وبـــدت فيـــه الإمكانات الهائلة المتشابكة فى عمليات الخلق وقـــضية التعبيـــر عـــن قضيتى الجمال والقبح معاً ، أى عن الحياة فى صميمها [1].

ولقد تنقلت مخيلة أبى تمام من الثبات إلى الحركة ، ولم تقف عنـــد حدود السماع والعيش على القراءة بل تخطت ذلـــك فكانـــت مخيلتـــه بصرية تبحث عن حيوية الصورة وفاعليتها فى إطار من الزمن ، وفى إطار الإتكاء والارتكاز على مفرداته ، ولننظر مثلاً إلى قولـــه يـــصف الخمر [2] :ـــ

عنبيـــة ذهبيـــة سبكت لهـــا	**ذهب المعانى صاغة الشعراء**
أكل الزمان لطول مكـــث بقائها	**ما كان خامرها من الأقـــذاء**
صعبت وراض المزج سئ خلقها	**فتعلمت من حسن خلق الماء**
خرقـــاء يلعب بالعقول حبابها	**كتلعب الأفعـــــال بالأســـماء**
وضعيفة فـــإذا أصابت فرصة	**قتلت ، كذلك قدرة الضـــعفاء**
جهميـــة الأوصـــاف إلا أنهم	**قد لقبوهـــا جوهـــر الأشياء**
وكأن بهجتها وبهجة كأسها	**نـــار ونـــور قُيـــدا بوعاء**
أو درة بيضـــاء بكر أطبقـــت	**حبـــلاً على ياقوتـــة حمراء**

يقول الشاعر إن هذه الخمر مما اعتصرت من العنب ولونها لـــون الذهب ، وقد بالغ الشعراء فى وصفها حتى اختاروا لها معانى وألفاظـــاً كأنها سبائك الذهب ، وهى شديدة قوية والماء لين ، فإذا مزجـــت بـــه أخذت من لينه فسهل شربها ، ويصفها فيقول إنها تحسن اللعب بعقـــول الشرب كتلعب الأفعال بالأسماء ، حيث إن الأفعال تغيرها من حال إلى حال فترفعها تارة وتنصبها أخرى ، وهى على شدتها ضعيفة ليس لهـــا بطش ، فإذا أكثر منها قتلت ، ويجعلها الشاعر بأنها لا فعل لهـــا لكـــن

([1]) أبو تمام وقضية التجديد فى الشعر ص١١ .

([2]) الديوان جـــ٢ ص٢٩ .

الناس وصفوها بالرونق والصفاء ، وشبهها بالنار والزجاجة بالنور قد قيدا واجتمعا ، وشبه الكأس بدرة بكر لم تثقب ، والخمر بياقوتة حمراء فكأنها حمل فى جوفها وهى حبلى بها .

فالشاعر تحدث عن أصلها حين كانت عنباً ، ثم أعطاها لوناً حسياً فى قوله (ذهبية) ثم لوناً آخر يتصل بالمعنى حين يقوم به صاغة الشعراء ، ثم ينفى عنها الأقذاء. . ، ثم يأتى بوصف مستخرج من الشئ ونقيضه، ثم يصفها بالخرقاء التى لا تحسن العمل ، . . . وهو يعطيها هنا الحركة والصوت من خلال كلمة (الحباب) ، ثم يتكلم عن الضعف والقوة ، ثم يحرك الذهن بالحديث عن (الجهمية) ، ثم يشبه الخمر بالنار والزجاجة بالنور قد اجتمعا ، ثم يشبه الكأس بدرة بكر لم تثقب والخمر بياقوته حمراء ، وهو هنا يربط بين الخمر والجنس ، ويعطى من وراء ذلك صوراً جزئية تكون صورة كلية ملموسة وملونة ونابضة وجياشة فى مكان وزمان [1].

ومن ألوان الوصف التى استعان فيها الشاعر بالزمن ومفرداته وصف الطبيعة ، تلك الطبيعة التى تنوعت وتعددت محاورها ، فقد وقف فيها على الجمال والجلال والعدم والوجود والحركة والجمود ، وأضاف إليها صوراً جديدة لم تكن مألوفة من قبل ، حيث جعلها تفكر وتحيا وتموت ومزج بينها وبين الإنسان وصراعاته ووقف عند مظاهرها المفرحة والمحزنة ، فتحدث عن الربيع والصيف والشتاء والخريف والغيث والمطر والبرد والرعد وغير ذلك مما يشيع فى الطبيعة من طباق كبير يسيطر على كل شئ فيها ، وانتقل منها إلى وصف أحوال الدهر ، وتعذر الرزق عليه فى مصر ، ووصف الخلاعة والقصف ووصف المعارك والحروب .

([1]) أبو تمام وقضية التجديد فى الشعر ص١١١ ، ص١١٢ .

ومن نماذجه فى وصف الأطلال والرسوم والمطر قوله فى مطلع قصيدة يمدح بها أحمد بن دؤاد ويعتذر إليه [1] :ـ

سقى عهد الحمى سَبَلُ العهاد ... وروَّض حاضر منه وباد
نزحت به ركى العين لما ... رأيتُ الدمع من خير العتاد
فيا حسن الرسوم وما تمشَّى ... إليها الدهر فى صور البعاد
وإذ طير الحوادث فى رباها ... سواكن وهى غناء المراد
مذاكى حلبة وشروب دجن ... وسامر فتية وقدور صاد
وأعين ربرب كُحلت بسحر ... وأجساد تضمخ بالجساد
بزهر والحذاق وآل برد ... ورت فى كل صالحة زنادى

فالشاعر يقصد بعهد الحمى الزمان الذى عهدهم فيه ، ويقصد بقوله (سَبَلُ العهاد) مطر من أمطار الربيع يجئ بعضها فى إثر بعض ، ويقول ، ما كان أحسن تلك الرسوم حين كان الدهر لم يتمش إليها فى صور البعاد ، أى لم يتنكر لها كتنكر البعاد ، أى كانت وأهلها مجتمعين متواصلين حسنة ، فلما تفرقوا وانتشروا قبحت.

وهذه الديار كانت فيها مذاكى حلبة أى الجماعة من الخيل التى تم ذكاؤه وسنه والتى ترسل للرهان ، وفيها الدجن أى الغيم والقوم يتحدثون فى ضوء القمر .

ولما كان الشاعر عاجزاً عن التمتع بالطبيعة وما تشمله من سحر جميل ومناظر خلابة فقد دعا طائرين أن يتمتعا بها فقال [2] :ـ

يا طائران تمتعا هنيتما ... وعما الصباح فإننى مجهود
آه لوقع البين يا بن محمد ... بينُ المحب على المحب شديد
أبكى وقد سمت البروق مضيئة ... من كل أقطار السماء رعود
واهتز ريعان الشباب فأشرقت ... لتهلل الشجر القرى والبيد

([1]) الديوان جـ١ ص٣٦٩ : ص٣٧١ .

([2]) الديوان جـ٣ ص١٤٨ ، ص١٤٩ .

ومضت طواويس العراق فأشرقت أذناب مشرقــةً وهــف حفود
يرفلن أمثال العذارى طوَّفــا حول الــدوار وقد تدانى العيد

وإذا كان الشاعر قد دعا الطائرين ليتمتعا بالطبيعة ويمرحــا فــى جنباتها ، فقد وجه تلك الدعوة إلى صاحبيه أن يرنــوا بنظريهمــا فــى الطبيعة وبخاصة حين يكون ذلك فى فصل الربيع ، وقد اســتخدم مــن مفردات الزمن ما يناسب الحديث عن ذلك كقولــه (نهــاراً مشمــساً ، الربيع ، أضحت ، غدت ، حلل الربيع) ، يقول [1]:ــ

يــا صاحبى تقصيا نظريكما تريا وجوه الأرض كيف تُصور
تريــا نهاراً مشمساً قد شابه زهر الربــا فكأنما هــو مقمر
دنيــا معاش للورى حتى إذا جَلِيِ الربيــع فإنمــا هى منظر
أضحت تصوغ بطونها لظهورها نــوراً تكاد له القلــوب تنــور

فالشاعر يعرض جمال الطبيعة فى فصل الربيع ، حيــث تــزدان الأرضٍ بألوان الزهر ، ويخالط بياض الزهر والأنوار بيــاض النهــار وغلب ضوء الشمس فيه فكأنه مقمر لا مشمس ، وحيث يقتات النــاس مما رزقهم الله به مما تخرجه الأرض لهــم مــن خيراتهــا ، ويــسعد الصاحبات بالنظر إلى محاسنها وأنوارها ومبــادى ثمارهــا المبــشرة بالقوت الذى يكون منه العيش .

ويلعب الزمن فى قصائد الشاعر بصفة عامة وهذه القصيدة بــصفة خاصة دوراً مهماً ، ويستعين فى ذلك بأدواتــه الممثلــة فــى الألــوان والظلال والألوان وغيرها يقول الشاعر[2] :ــ

رقت حواشى الدهر فهى تمر مر وغدا الثرى في حليه يتكسر
نزلت مقدمــة المصيف حميــدة ويــد الشتاء جديــدة لا تكفر
لــولا الذى غرس الشــتاء بكفه لاقى المصيف هشائماً لا تثمر
كم ليلــة آسى البــلاد بنفســه فيهــا ويــوم وبلــه مثغنجر

([1]) الديوان جـ٢ ص١٩٤ ، ص١٩٥ .
([2]) الديوان جـ٢ ص١٩١ .

أربيعنـــا فى تســـع عشرة حجة حقـــاً لهنّـــَك للربيـــع الأزهر
مـــا كانت الأيـــام تُســـلب بهجة لو أن حسن الروض كان يعمر

يجعل الشاعر الزمن هو البطل الرئيسى فى أبيات قصيدته ، حيث تكون حواشى الدهر فى حالة التموج ، والنبات فـــى حالـــة التكـــسر ، وحيث مقدمة الصيف ويـــد الـــشتاء الجديـــدة ، ونـــدى الأرض وذوب المطر، ويربط الشاعر بين الروض والزمن كذلك حيث أشار إلى أنـــه لو دام حسن الروض لدامت بهجة الأيام وحسنها .

وكان الشاعر يعانى فى حياته من مرض الكلى ، وقـــد ولـــد فـــى داخله إحساساً عميقاً بالموت ، وحساسية شديدة من البرد والشتاء ، فقال يصف البرد بخرسان [1]:ـــ

لـــم يبق للصيف لا رسم و لا طلل ولا قشيب فيُستكسى ولا سَمَلُ
عدل من الدمع أن يبكى المصيف كما يبكى الشبابُ ويُبكى اللهوُ والغزلُ
يُمنى الزمان طوت معروفها وغدت يسراه وهى لنا من بعدها بدل
ما للشـــتاء وما للصيف من مثل يرضى به السمع إلا الجود والبخل
من يزعم الصيف لم تذهب بشاشته فغير ذلك أمسى يـــزعم الجبل

ويصف الشتاء بقوله (شتامة الوجه) فيقول [2] :ـــ

إن الشتاء على شتامة وجهه لهو المفيد طلاقـــة المصطاف

ويقول فيه أيضاً [3] : ـــ

فانهض وإن خلت الشتاء مصمماً حزن الخليفة جامحاً فى المسجل

ومن ألوان الوصف لدى الشاعر وصف المعارك والحروب التـــى كان لها دوى كبير فى عصره ، كوصفه وتصويره لهذه المعركة التـــى قادها الخليفة المعتصم ضد الروم والتى ذكر فيها فتح عمورية والتـــى

---

(1) الديوان جـ٤ ص٥٢٦ .
(2) الديوان جـ٢ ص٣٩٢ .
(3) الديوان جـــ٣ص٤٥ .

أشار ابن العماد فى كتابه إلى سبب هذه الغزوة [1]،يقول الشاعر فى مقدمتها [2] : ــ

السيف أصدق أنباء من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب

وقال يصف أحوال الدهر ويشير إلى أنه يظلم ولكنه أقرضه الإحسان ثم انقضى فيقول [3] : ــ

أسخطنى دهرى بعد الرضا وارتجع العُرف الذى قد مضى
لم يظلم الدهر ولكنه أمرضنى الإحسان ثم اقتضى

ويصف تعذر الرزق عليه بمصر فيقول [4] :ــ

أخمسة أحوال مضت لمغيبة وشهران بل يومان نكل من النكل

ــ ــ ــ ــ ــ ــ ــ

قضى الدهر منى نحبه يوم قتله هواى بإرقال الغريرية الفتل

وهكذا كان الوصف لدى أبى تمام خرج استجابة لعواطفه وتحرك طوعاً لمشاعره وأحاسيسه ، متكئاً فى ذلك على أدوات كثيرة فى مقدمتها الإحساس بالزمن ، ولم يقتصر وصفه على وصف جوانب الجمال فى الطبيعة فحسب وإنما تناول الجوانب الأخرى القاسية كالحديث عن الشتاء والرعد ووصف أحوال الدهر وتعذر الرزق عليه فى مصر مما يشير إلى سعة أفقه وعمق ثقافته وقدرته على التعبير والتصوير .

---

(1) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى تحقيق لجنة إحياء التراث العربى فى دار الآفاق الجديدة ــ منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت جـ٢ ص٥١ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص١٣٢ ط سنة ١٣٠٥هـ ، تاريخ الطبرى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط الرابعة بدون دار المعارف جـ٩ ص٥٧ : ص٧١ .

(2) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص١٥ .

(3) الديوان جـ٤ ص٥١٧ .

(4) الديوان جـ٤ ص٥٢٢ .

المبحث الرابع
الزمن والبناء الفنى فى شعر أبى تمام

أولاً : الزمن والصورة الأدبية فى شعر أبى تمام

يقول الدكتور مصطفى ناصف : إن الصورة الأدبية منهج لبيان حقائق الأشياء ، وتستعمل للدلالة على كل ماله صلة بالتعبير الحسى، وتطلق أحياناً مرادفة للاستعمال الاستعارى للكلمات [1] .

ويحدد الدكتور على صبح منابع الصورة فى " اللفظ الفصيح الذى يتناسب مع الغرض والعاطفة والخيال بألوانه الخلابة كالاستعارة والتشبيه والكناية والتمثيل والمجاز المرسل وحسن التعليل والتجسيم والتشخيص وغير ذلك ، ثم الموسيقى بأنواعها المختلفة : من اللفظ الرشيق والعبارة المناسبة . . " [2] .

ويوضح أثرها فى النفس فيقول : إنها " تحرك العاطفة وتهز المشاعر ، وتسمو بالأحاسيس ، وترتقى بالوجدان فتفيض النفس بالحيوية والقوة ، وتتجاوب مع أصداء الحياة وأسرار الجمال فى الطبيعة والكون " [3] .

ويعدها الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى وسيلة فنية أساسية لنقل تجربة الشاعر ، ويضع لها شروطاً محددة حتى تكون جيدة : الأول : أن تكون الصورة عميقة فى نفس الشاعر ، لا صورة سطحية لا جذور لها فى نفسه ، والثانى أن تكون الصورة عضوية فى التجربة الشعرية بأن تساير الصورة الجزئية الفكرة العامة أو الشعور العام فى القصيدة ،

---

(1) الصورة الأدبية د/ مصطفى ناصف ط٣ دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع سنة ١٩٨٣ ص٨ ، ص٣ .

(٢) البناء الفنى للصورة الأدبية فى الشعر د / على على صبح ط سنة ١٤١٦ هـ سنة ١٩٩٦ م الناشر المكتبة الأزهرية للتراث ص٢٦ .

(3) السابق ص٣ .

وأن تؤدى كل صورة وظيفتها فى داخل التجربة الشعرية التى هى الصورة الكلية ، والثالث : أن تكون الصورة واضحة الرؤية، فلا اضطراب فيها ولا تنافر ، والرابع : الاعتماد على الإيحاء فى الصورة بدلاً من الوصفية الموضوعية [1] . ويحدد لها عناصر تتمثل فى الدلالة المعنوية للألفاظ والعبارات ، والإيقاع الموسيقى للكلمات والعبارات والصور والظلال التى يشعها التعبير ، ثم طريقة تناول الموضوع أى الأسلوب الذى تعرض به التجربة الأدبية [2] .

ويعدها الأستاذ أحمد الشايب فرعاً للأسلوب فيقول : " والصورة الأدبية فرع الأسلوب ، بل هى نتيجة للبراعة فيه والدقة فى بناء التركيب والعمق فى رصانة الأسلوب والإحكام فى نظمه " [3] .

ويحدد الدكتور شوقى ضيف بعض ألوان الصورة البيانية فيقول : إن المجازات والتشبيهات والاستعارات هى بعض ألوان الصورة ، ولكنها ليست غاية فى ذاتها ، وإنما هى غاية لمعان تمثلها ، معان تصور انطباعات روح الكون فى خيال الأديب [4] .

١ ــ الزمن والاستعارة

قبل أن نتحدث عن الزمن والاستعارة نشير بإيجاز إلى أثر الثقافة الفارسية فى ثقافة العصر العباسى بصفة عامة وثقافة الشاعر بصفة خاصة ، فلقد ساعدت الثقافة الفارسية فى السياسة والآداب والفنون ، وكان من نتاج أثرهم الزخرفة الهندسية التى شغف بها العباسيون آنذاك لينصرفوا بها عن التجسيم إلى التجريد ، لأنها تعتمد على التناظر والتكرار اللذين لا وجود لهما فى الطبيعة بقدر ما هما اصغاء إلى

---

(١) مدارس النقد الأدبى الحديث د/ محمد عبدالمنعم خفاجى ــ الناشر الدار المصرية اللبنانية ص٦٠ .

(٢) السابق ص٥٦ .

(٣) الأسلوب لأحمد الشايب ط الثامنة مكتبة النهضة المصرية ص٤٦،٥٢، ٥٣ .

(٤) فى النقد الأدبى د / شوقى ضيف ط الرابعة دار المعارف بمصر ص١٧٣ .

ألحان خافية فى الأشياء ، ثم التعبير عن هذه الحالة بوسائل هى فى حقيقة الأمر من وسائل الموسيقى كالإيقاع والجرس والشدة [1] .

والاستعارة لدى أبى تمام لها صلة وثيقة بهذه الثقافة الفارسية ، حيث استطاع أن ينقلها من معناها اليسير والمسمى بالاستعارة اللغوية إلى معنى أوسع وأرحب والمسمى بالاستعارة الجمالية التى لا تقف عند الخاصية الظاهرة للشئ وإنما تقف عند العلاقة التى تكمن تحت الظواهر وتنتظمها جميعاً بحيث ينشأ نوع من التزاوج والتفاعل بين المشبه والمشبه به، وبذلك يكون هناك تنظيم للعمل الشعرى وإثراء له .

وقد استطاع أبو تمام أن يدخل فى كل ميادين الاستعارة ، فكان منها استعارة الأسماء للأسماء ، واستعارة الأفعال للأسماء ، والاستعارات التى تهتم بالكل أكثر من اهتمامها بالجزء ، والنوع أكثر من اهتمامها بالفرد مما يعطى للاستعارة حيويتها وطلاقتها وقدرتها على التعبير والتصوير ، ولهذا رأيناه يجعل للمجد جسداً وكبداً ، ولصروف النوى قداً ، وأسند الطهر والخيانة لليوم وغير ذلك مما شاع من استعارات موحية فى ديوانه ومن أمثلة الاستعارة الموحية لدى الشاعر قوله من قصيدة فتح عمورية [2] :ـ

كأن جلابيب الدجى رغبت عن لونها أو كأن الشمس لم تغب

فقد استعار الجلابيب للدجى وهو زمن الليل ليشير إلى أن الظلام كان ساتراً لكل شئ ، ولكن جلاه وغير لونه هذه النار التى تطايرت فى الأفق ، فمن رأى ذلك ظن أن النهار باق وأن الشمس لم تغب .

ويقول فى القصيدة نفسها [3] :ـ

تسعون ألفاً كآساد الشرى نضجت جلودهم قبل نضج التين والعنب

استعار الشاعر فى هذا البيت نضج الأعمار للقتل لأنه قرنه بنضج التين والعنب ، وكان الخليفة المعتصم قد سمع أن رهبان الروم يقولون:

---

(1) أبو تمام وقضية التجديد فى الشعر ص٤٨ .
(2) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص٢٠ .
(3) السابق جـ١ ص٢٦ .

إنا نجد فى كتبنا أنه لا يفتح هذه المدينة إلا ملك يغرس فـــى ظاهرهـــا شجر التين والكرم ، ثم يقيم هذا الملك حتى يثمر التين والعنب فأمر أن يغرس فى ظاهرها التين والكرم ثم فتح الله عليه قبل أن يثمرا .

ومن نماذج الاستعارة قوله من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى[1] :ـــ

فضربت الشتاء فى أخدعيه ضربة غادرته عوداً ركوبا
لو أصخنا من بعدها لسمعنا لقلـــوب الأيـــام منك وجيبا

فقد جعل الشاعر فى البيت الأول للشتاء وهو زمن أخدعين وشبهه بالجمل المسن المنقاد ، وجعل فى البيت الثانى للأيام وهى زمن قلوبـــاً وجعلها تخفق وتضطرب .

ويقول من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى [2]:ـــ

ولما رأى توفيل راياتك التى إذا ما استقامت لا يقاومها الصلب
تولى ولم يالُ الردى فى اتباعه كأن الردى فى قصده هائـــم صب

يصور الشاعر فى هذين البيتين حال توفيل وهو طاغية الروم الذى حاربه العرب حين رأى رآيات العرب خفاقـــة فأصـــابه الـــذعر ففـــر وهرب، لكن الردى وهو زمن القتل والموت كان يطارده ويلاحقه وذلك على سبيل الاستعارة المكنية، بل إن الردى كان هائماً صبَّاً به .

وثمة نماذج للشاعر فى الاستعارة المعتمدة على لفظ (الـــدهر) ، جعل فى الأولى الدهر يسمح لكل أحد أن يحصل من أموال الممـــدوح على ما يغنيه ، وفى الثانية جعل للدهر نابين ، وفى الثالثة جعل للـــدهر سناماً ، وفى الرابعة جعل للدهر بناتاً ، وفى الخامـــسة للـــدهر طـــولاً وعرضاً ، وفى السادسة للدهر فؤادا ، وفى السابعة جعل الدهر خؤونا، فيقول[3] :ـــ

---

(1) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص٦٧ .

(2) السابق جـــ١ ص٧٩ .

(3) شرح ديوان أبى تمام جـ١ ص٤٣٦، والديوان جـ٢ ص٣٧٨،١٥٤،٣٨٦، ١٨٨، جـ٣ ص٧٢، وشرح الديوان جـ ١ص١٦٨ ، والديوان جـ٤ ص٨٣ .

الدهــر يسمح بالتى تهب الغنى ... لمــؤمــل من صــادر أو وارد
خفضت عنى الدهــر بعد ملمــة ... تــركت لنابيـــــه على صريفا
فلــو ذهبت ســنات الدهر عنه ... وأُلقــى عن مناكبــه الدثــــار
خلفت بعقوتك الســنون وطالما ... كانت بنات الدهــر عنك خُلوقا
عضبــاً إذا سلَّه فى وجه نائبة ... جاءت إليه بنات الدهــر تعتذر
بيوم كطول الدهر فى عرض مثله ... ووجدى من هذا ومن ذاك أطول
أخاف فؤاد الدهر بطشك فانطوت ... على رعب أحشــاؤه وأجنــت
لئن أبغض الدهر الخؤون لفقده ... لعهدى بــه ممن يحب له الدهر

ويجعل الشاعر فى أبيات أخرى الدهر يأكل ، ويضحك ، ويجــرع كأس الصبر ، فيقول [1] :ــ

سيأكلنا الدهر الذى غال من نرى ... ولا تنقضى الأشياء أو يُؤكل الدهرُ
ويضحك الدهر منهم عن غطارفة ... كــأن أيــامهم من أُنســها جُمَعُ
جرعك الدهر كاس الصبر فى لجج ... للموت يغرق فى آذيِّها الجبــل

وللزمان نصيب من استعارات الشاعر ، فقد جعله يــسوس ويقــود الناس ، ويعوق رضيع الجود ، ويبدى أنيابه للنــاس ، ويــصفه بأنــه بخيل، وأن له وجهاً كلحاً ، فيقول [2] :ــ

لقــد ساسنا هذا الزمان سياسة ... سدىً لم يسسها قط عبد مُجَدَّعُ
عاق الزمان رضيع الجود لم يقه ... أهل ولم يفــده مال ولا ولــد
كان الذى يُتَقى ريبُ الزمان به ... إذا الزمانُ بدت أنيابــه العُصُل
هيهات لا يأتى الزمان بمثلــه ... إن الزمــان بمثلـــه لبخيــل
وإنك إن صــدَّ الزمان بوجهه ... لطلق ومن دون الخليفة باسل

ومن الاستعارات التى استخدم فيه أبو تمام لفظ (اليوم) و(الأيــام) قوله من قصيدة يخاطب فيها على بن مر ويستهديه فروا [3] :

([1]) الديوان جـــ٤ ص ٨٦ ، ص٩١ ، ص١٢٦ .
([2]) الديوان جـــ٢ ص٣٢٤ ، جـــ٤ ص٧٨ ،١٢٢ ،١٠٢ ، جـــ٣ ص١١٩ .
([3]) شرح الديوان جـــ١ ص١٤٨ .

إذا اليوم أمسى وهو غضبان لم يكن طويل مبالاة به حين يطلب

وقوله عن الأيام بأنها تستجيب للممدوح خوف انتقامه فى الوقت الذى تتأبى على غيره وتمتنع[1] :ـ

تطوع له الأيام خوف انتقامه إذا امتنعت من غيره وتأبت

ويجعل لها يداً تمد منه بنانها لتنال الممدوح بخطبها، فيقول[2] :ـ

إذا ما يد الأيام مدت بنانها إليك بخطب لم تنلك وشلت

ويجعل الأيام تسقى من يدها سُمَّاً ، فيقول[3] :ـ

قد سقتنى الأيام من يدها سماً لفقدى له بكأس دهاق

والليالى لها نصيب من استعارات أبى تمام ، فيجعلها انساناً ينهل ويشرب الشرب بعد الشرب ، ومراده أن الأحداث والصروف تكررت عليه حتى نالت منه منالاً عظيماً ، فيقول [4]:ـ

أقر عمود الدين فى مستقره وقد نهلت منه الليالى وعلَّت

ويجعل لليل عنقاً كعنق البعير حين يلقيه على الأرض لينام ، ويقصد بذلك طول الليل وشدة ظلامه فيقول [5]:ـ

تعسفتها والليل ملق جرانه وجوزاؤه فى الأفق لما استقلت

وهذا التصوير السابق نرى له أثراً فى قول امرئ القيس[6] :ـ

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً ونآء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى يصبح وما الإصباح منك بأمثل

---

(1) شرح الديوان جـ١ ص١٦٧ .

(2) السابق جـ١ ص١٦٨ .

(3) الديوان جـ٢ ص٤٤٨ .

(4) السابق جـ١ ص١٦٥ .

(5) السابق جـ١ ص١٦٣ .

(6) شرح المعلقات السبع للزوزنى مكتبة النقاء العراق بغداد شارع المتنبى ص٣٧: ص٣٩ .

ويصور فى بيت آخر أن نوب الليالى تطغى ، فيقول [1]:

عميد الغوث إن نوب الليالى سطت وقريعها عند القراع

ويستعين الشاعر بلفظ (موهنا) وهو القطعة من الليل ليشير إلى أن الهموم التى زارت الممدوح ونزلت به بعد انقضاء جزء من الليل قد سلبته النوم وأطارت النعاس من عينيه فلم يغمض له جفن، فيقول[2] :ـ

إن الهموم الطارقاتك موهنا منعت جفونك أن تذوق حثاثا

وللشتاء نصيب فى استعارات أبى تمام ، فيجعل فى احداها للشتاء يداً ،وفى الثانية له جهامة ، والأصل أن تكون فى وجه الإنسان إذا كان غليظاً ، وفى الثالثة مسحلاً ، وهو جانب حديدة اللجام وأصله للفرس ، فيقول[3] :ـ

نزلت مقدمة المصيف حميدة ويد الشتاء جديدة لا تكفر

إن الشتاء على شتامة وجهه لهو المفيد طلاقة المصطاف

فانهض وإن خلت الشتاء مصمما حزن الخليفة جامحاً فى المسحل

ولا ينسى الشاعر الربيع فى استعاراته ، فلما كان الربيع زمناً يكثر فيه النبت ويعم الخصب فيه فقد صوره رجلاً كريماً، فيقول[4] :ـ

فى أوان من الربيع كريم وزمان من الخريف حسيب

وهكذا كانت استعارات أبى تمام التى استعان فيها بالزمن ومفرداته، عبرت عن تجربته ونفسيته ، وترجم من خلالها عن مشاعره و احساساته ، وقد وفق فى استخدام هذه المفردات الزمنية كالزمان والدهر والليل وغير ذلك .

---

(1) الديوان جـ٢ ص٣٣٩ .

(2) شرح الديوان جـ١ ص١٧٣ . .

(3) الديوان جـ٢ ص١٩١ ، ص٣٩٢ ، جـ٣ ص٤٧ .

(4) شرح الديوان جـ١ ص٩٠ .

٢ ــ الزمن والتشبيه

يقع التشبيه بين شيئين بينهما اشتراك فى معان تعمهما ويوصفان بها ، وافتراق فى أشياء ينفرد كل واحد منهما بصفتها ، وأحسنه ما أوقع بين الشيئين اشتراكهما فى الصفات أكثر من انفرادهما فيها حتى يدنى بهما إلى حال الاتحاد [١] .

وثمة وجوه تستحسن فيها التشبيهات ، منها أن تجمع تشبيهات كثيرة فى بيت واحد وألفاظ يسيرة ، ومنها أن يشبه شئ بأشياء فى بيت أو لفظ قصير ، ومنها أن يشبه شئ فى تصرف أحواله بأشياء تشبهه فى تلك الأحوال ، ومن أبواب التصرف فى التشبيه أن يكون الشعراء قد لزموا طريقة واحدة من تشبيه شئ بشئ فيأتى الشاعر من تشبيهه بغير الطريق التى أخذ فيها عامة الشعراء [٢] .

وعلى من أن أبا تمام كانت أداة البيان عنده الاستعارة إلا أنه لم يغفل هذا اللون البيانى الذى يعد فى نظر الشعراء الخطوة الأولى فى الخيال ، والذى يمثل الجانب البيانى الأكبر فى الشعر العربى ، وقد حاول الشاعر أن تكون له تشبيهاته التى تتوقف عندها العقول لترى رؤيته فى تقريب الأشياء وتماثلها ، وخياله الخصب الذى يجود بها وطرقه فى التعبير عنها ، ومن ثم رأينا له لونين من التشبيهات ، اللون الأول هو ذاك الذى يطرقه غيره من الشعراء حيث السهولة فى كشف مقصوده ومراده ، والثانى هو ذاك المضمر الخفى الذى لا يصل إليه إلا ذوو الذوق البيانى الجميل .

ومن نماذج اللون الأول والتى اعتمد فيها على إحدى مفردات الزمن ــ وهى لفظ ــ الربيع ــ قوله من قصيدة يمدح بها عبدالعزيز بقزوين [٣] :ــ

---

(١) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص١٢٤ .

(٢) السابق ص١٢٧ .

(٣) شرح الديوان جـ١ ص٤٣٩ .

وسرب كنوار الربيع تناقلت إلى موعد زولاته وخرائده

فالمراد بالسرب جماعة الطير ، وأراد الشاعر بـه هنـا جماعـة النساء اللاتى تميل فى سيرها و اللاتى شـبههن بنـوار الربيـع فـى الإشراق .

ومن النماذج التى اعتمد فيها على لفظ الدهر قوله[1] :ـ

تروح علينا كل يوم وتغتدى خطوب كأن الدهر منهن يُصرع

فيشير إلى أن الدهر يُصرع من الخطوب كما يصرع المجنـون ، لأن مثله لا يصدر عن عاقل ، ومثله قوله[2] :ـ

رجفانـاً كأنه الدهـر منـه كَبدُ الصبِّ أوحشـا المرتـاع

وهذا التشبيه يضرب به المثل فى القلق والاضطراب .

ومن تشبيهاته التى اعتمد فيها على (نجم الدجى) قوله مشبها سير الهموم إلى الممدوح وهو يسرى بها كما يسرى النجم[3] :ـ

يسرى إذا سرت الهموم كأنه نجم الدجى ويغير حين يغـار

ومن نماذج اللـون الثانى من التشبيه الذى يخفى ويدق ، والـذى يلحظ من فحوى الكـلام قولـه وقـد اعتمد علـى لفظـى (الليـالى والأيام)[4] :ـ

كواعب زارت فى ليال قصيرة تخيلن لى من حسنهن كواعبا

يقول الشاعر : لإعجابى بهذه الأيام وتعلقى بها خيـل إلـى أنهـن كواعب .

ويقول فى نموذج آخر[5] :ـ

رددت أديم الغزو أملس بعدما غدا ولياليه وأيـامه جُـرْبُ

---

(1) الديوان جـ٢ ص٣٢٤ .

(2) السابق جـ٢ ص٣٤١ .

(3) السابق جـ٢ص١٧٥ .

(4) شرح الديوان جـ١ ص٤٠ .

(5) السابق جـ١ ص٨١ .

فينفى عن ممدوحه كل ما كان يخالطه ويعيبه حتى كأنه كان أجرب فصيره أملس .

ومن نماذجه كذلك قوله وقد شبه حالات سرور الممدوح بحالات هموم غيره ، فكأن أيامه ليال[1] :ـ

عادت لـه أيامه مسودة حتى توهم أنهن ليال

ومن نماذج التشبيهات لدى الشاعر التى اعتمد فيها لفظ (العهد) قوله[2] :ـ

كأن العهد عن عفر لدينا وإن كان التلاقى عن تلاق

العُفر : مقدار شهر ، وقيل لا حدَّ له محدود ، ويريد الشاعر أن يقول : نحن فى أيام القرب لا يَمَلُ بعضنا بعضا فإذا لقيت الممدوح باكراً ثم رحت إلى لقائه فكأن التلاقى عن وقت بعيد .

ويستخدم الشاعر لفظ (العصور ، والعهد) فى قوله[3] :ـ

ولى همة تمضى العصور وإنها كعهدك من أيام وعدك حامل

سنون قطعناهن حتى كأنما قطعنا لقرب العهد منها مراحل

أى كأنها حامل من وعدك ترقب وضع النُجح ، وكأن الذى قطعنا من السنين لقربه مراحل ، يريد وعده أنه قد مضت له سنون فكأن السنة رحيل من منزل إلى منزل لتجديد الوعد كل وقت .

ويستخدم الشاعر فى تشبيهه لفظ (النهار والشمس) فيقول[4] :ـ

يا صاحبى تقصيا نظريكما تريا وجوه الأرض كيف تصور

تريا نهاراً مشمساً قد شابه زهر الربا فكأنما هو مقمر

---

(1) الديوان جـ٣ ص٧٧ .

(2) الديوان جـ٢ ص٤٢٧ .

(3) الديوان جـ٣ ص١٢٨ .

(4) الديوان جـ٢ ص١٩٤ .

يصف فيه الشاعر مخالطة بياض الزهر والأنوار بياض النهار وغلب ضوء الشمس فيه فكأنه مقمر لا مشمس ويستخدم الشاعر لفظ (الشيب) فى تشبيهه فى قوله[1] :ـ

سبق المشيبَ إليه حتى ابتزه وطنُ النهى عن مفرق وقذال

يصور الشاعر كأن سباقاً بين الصارم وبين الشيب حول رأس الفتى ، فيقول : إن هذا الصارم سبق إلى هذا الفتى الشيبَ فسلبه رأسه وأم دماغه الذى هو وطن العقل .

ومما سبق يتضح لنا أن تشبيهات الشاعر جاءت معظمها من اللون الثانى الذى يحتاج إلى إعمال الفكر وكد الخاطر وذلك رغبة من الشاعر فى عدم التقيد فى أسر التشبيهات المألوفة التى تتضح فيها أركان التشبيه وتكون معالمه فيه واضحة .

٣ ــ <u>الزمن وألوان بيانية وبلاغية أخرى</u>

<u>الزمن والكناية</u> قلت نماذج أبى تمام فى هذا اللون البيانى ، ومن نماذج ذلك قوله [2] :ـ

ضم الفتاء إلى الفتوة برده وسقوه وسمى الشباب الصيب

فالفتاء هو طراءة السن ، والفتوة تكون فى الأخلاق ، والبيت كناية عن ثبوت صفتى الفتاء والفتوة ، ومن نماذجه كذلك قوله [3]:ـ

وكانت وليس الصبح فيها بأبيض فأمست وليس الليل فيها بأسود

فقد كنى بصدر هذا البيت عما كانت عليه الحال قبل الوقائع من الالتباس والغموض واشتباه وجوه النصر على طالبيه ، وكنى بعجز البيت عما أحدثته هذه الوقائع من جلاء الأمر ووضوحه وظهور وجوه النصر .

---

(1) الديوان جـ٣ ص١٤١ .
(2) شرح الديوان جـ١ ص١٠٠ .
(3) السابق جـ١ص٣٠١ .

ويقول فى بيت آخر[1]:ــ

إليــك هتكنا جنح ليل كأنه قد اكتحلت منه البلاد بإثمد

فقوله (قد اكتحلت منه البلاد بإثمد) كناية عن كونه شديد الــسواد فهو مثار للفزع والرهبة .

ويقول فى بيت آخر [2] :ــ

حمتنا الطيفَ من أم الوليد خطوب شيبت رأس الوليد

فقوله (شيبت رأس الوليد) كناية عن هول الخطوب وفظاعتها .

الزمن وحسن التقسيم

ومن نماذجه فيه قوله وقد استخدم فيه لفظ (**الدجى**)[3] :ــ

ورث الندى،وحوى النهى،وبنى العلا وجلا الدجى،ورمى الفضا بهداء

الزمن والتأثر بالقرآن والسنة والشعراء .

من نماذج تأثره بالقرآن الكريم قولــه وقــد اعتمد فيه على ألفــاظ (**عهد ، شابت ، الليالى**)[4] :ــ

من عهد اسكندر أو قبل ذلك قد شابت نواصى الليالى وهى لم تشب

فقوله فى الشطر الثانى (شابت نواصى الليالى) متأثر فيه بقولــه تعالى :" يوماً يجعل الولدان شيباً " [5] .

الزمن والتأثر بالحديث النبوى الشريف

من نماذجه فى ذلك قوله وقد اعتمد فيه على لفظ (**شهر**) [6]:ــ

---

(1) شرح الديوان جـ١ ص٣٠٢ .

(2) السابق جــ١ص٣٠٤

(3) السابق جــ١ ص١٣ .

(4) السابق جــ١ص١٨ .

(5) سورة المزمل آية١٧ .

(6) شرح الديوان جــ١ ص٧٩ .

أشم شريكى يسير أمامـــه مسيرة شهر فى كتائبه الرعب

فقد تأثر فى هذا البيت بالحديث الشريف (نصرت بالرعب مـــسيرة شهر) .

الزمن والتأثر بالشعراء

تأثر أبو تمام فى أبياته التى ضمنها بعض مفردات الزمن بالشعراء السابقين ، فمن نماذجه فى ذلك قوله[1] :ـــ

تعسفتها والليل ملق جرانه وجوزاؤه فى الأفق لما استقلت

فقد تأثر فيه بقول امرئ القيس[2] :ـــ

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنـــواع الهمـــوم ليبتلى
فقلت له لمـــا تمطى بصلبـــه وأردف أعجـــازاً ونـــاء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى بصبح وما الإصباح منك بأمثل

وهكذا تنوعت ألوان البلاغة فى شعر أبى تمام ، لكنه كما قلنا سابقاً إنه صب اهتمامه الأكبر على الاستعارة والتشبيه ، وقل اهتمامـــه فـــى الألوان البلاغية الأخرى .

ولأبى تمام صور كلية جميلة أورد بعضها الدكتور عبده بـــدوى ، ومنها قول الشاعر فى مدحه لحمد بن دؤاد :ـــ

سقى عهد الحمى سبل العهاد وروض حاضر منه وباد

يقول :" والملاحظ من هذا أن الطبيعة عنده فى حالة حركة ونمو ، فالثرى مكروب والماء يجرى ، والروض يكشف رأسه ، بالإضافة إلى ما يسميه جنون زهر الألوان . . كما أنها فى حالة إنـــسانية ، أو كمـــا يقال (مؤنسة) فالإنسان يهدر فى عروقها ويحـــل فـــى اخـــضرارها ويتماوج فى كل ما تعطى ، ثم إن المطر والسحاب والمـــزن و الـــديم

---

(1) شرح الديوان جـــ١ ص١٦٣ .

(2) شرح المعلقات السبع للزوزنى ص٣٧ : ص٣٩ .

والغيث والمطر والبرق ومشتقاتها تعادل عنده الخصب والنماء وقدرة الاستمرار فى الحياة . . "[1] .

ويقول فى موضع أخر : " وإذا كانت الصورة يمكن استثارتها مرة على سبيل المجاز فإنها إذا ظهرت بإلحاح تصبح رمزاً ، وقد تصبح جزءاً من منظومة رمزية أو أسطورية . . . ولنتأمل إلحاحه الشديد على (البكارة) وكيف أنها ترمز عنده إلى البراءة والنقاء ، وإلى فكرة (الحلب) كما فى قصيدته :ـــ

السيف أصدق أنباء من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب

فهى تتحول عنده إلى رمز العطاء ، وإلى فكرة الحديث عن الأقمشة والأردية ، فهى رمز للتحسين والزخرفة وما أكثر ما يرمز باللون الأخضر إلى الخلود والجنة ، وباللون الأحمر إلى الحرب والصراع والموت ، وقد تتحول الأجناس إلى لون ، فاللون الأصفر أو الأزرق يعنى الروم ، واللون الأسمر يعنى العرب . . " [2] .

ويوضح الصور الكلية فى القصيدة نفسها وبخاصة فى الأبيات من الخمسين إلى السادس والستين فيقول الناقد : إن أبا تمام لجأ إلى " تظليل المشهد من خلف الشخصية ، فيتحدث عن تلك الحرب التى تجعل القوم يجثون على الركب لثقل ما حملوه من الحرب ، والتى أصبح نور النساء ينتزع من خلال ضوء السيوف بها ، وأصبح قطع الرقاب طريقاً إلى المخدرات العذراوات ، وأصبح القضيب الهندى القاطع يقدم قدًّا رومياً ليناً . . ثم أكد على الحصول على الأقمار الإنسية من ساحة الحرب ، وربط قوام السيف وقوام الفتاة وربط بين اهتزازها واهتزازه ، ثم وصل إلى القول بأن السيف متى تخلص من حجابه أصبح أحق بالفتاة ، . . وهو يجعل كلا من الموت والحياة يشع

([1]) أبو تمام وقضية التجديد فى الشعر ص١٠١ ، ص١٠٢ .

([2]) السابق ص١١٢ .

فى مواجهة الآخر بحنان وقسوة ، وأن عملية السطوع هــذه لا تكــون للعين فقط وإنما تكون للعقل كذلك " [1] .

ويعطينا مثالاً آخر للصورة الكلية لدى أبــى تمــام ، وذلــك فــى قصيدته التى يقول في مطلعها :ــ

إن الربيــع أثــر الزمان لو كان ذا روح وذا جثمان

فيشير إلى أن الشاعر قدم صورة كلية بصرية محسوسة للربيع فى هذا الأبيات تخلق واقعاً جديداً يدور حول استمرارية الزمن الأخــضر المتمثل فى الشباب ، ساعده فى ذلك وجود نقاط إشــعاع يــسطع فــى الأبيات تتمثل فى (الربيع والابتسام ، الألوان . . .)[2] .

وهكذا كانت صور أبى تمام جمعت بين الجزئية والكلية ، وتنوعت الصور الجزئية لديه ما بين استعارة وتشبيه وكناية وحــسن تقــسيم ، وخرجت صوره الكلية نابعة من تصويره مشاهد المعارك والحروب أو وصف الطبيعة ومناظرها الخلابة .

([1]) أبو تمام وقضية التجديد فى الشعر ص٢٤٤ .

([2]) السابق ص٤٠٣ .

ثانياً :الزمن وموسيقى الشعر لدى أبى تمام

للشعر العربى قيمة فنية ساعدت على حفظه على مدى الزمن ، حيث تناقله جيل بعد جيل ، لإشباع أشواقه الروحية ، وظمأ نفوسه إلى الجمال ، هذا بالإضافة إلى ما يتمتع به الشعر العربى من نغم موسيقى يعين على الحفظ والتذكر [١] .

ولا يوجد شعر بدون موسيقى يتجلى فيها جوهره الزاخر بالنغم ، موسيقى تؤثر فى أعصاب السامعين ومشاعرهم بقواها الخفية التى تشبه السحر ، قوى تنشر فى نفوسهم موجات من الانفعال يحسون بتناغمهم معها [٢] .

ويشير الدكتور على عشرى زايد إلى أن الموسيقى عنصر من عناصر الشعر وأداة من أبرز الأدوات التى يستخدمها الشاعر فى بناء قصيدته [٣] ، هذا العنصر الذى يميز الشعر من النثر ، والذى تدرك بواسطته الأذن دون بقية الحواس الايقاع الجميل فى النص الأدبى ، فهذه الحاسة هى السبيل إلى تسلل الموسيقا إلى النفس [٤] .

ويتحدث الدكتور إبراهيم أنيس عن جرس الألفاظ وانسجام المقاطع فيقول : إن للشعر نواحى عدة للجمال أسرعها إلى نفوسنا ما فيه من جرس الألفاظ وانسجام فى توالى المقاطع وتردد بعضها بعد قدر معين

---

(١) البناء العروضى للقصيدة العربية د/ محمد حماسة عبداللطيف ط أولى سنة١٤٢٠هـ سنة١٩٩٩م ص١١ .

(٢) فصول فى الشعر ونقده د/ شوقى ضيف ط دار المعارف ـ القاهرة ط الثالثة ص٢٨ .

(٣) عن بناء القصيدة العربية الحديثة د/ على عشرى زايد ـ دار الفصحى للطباعة والنشر ـ القاهرة سنة١٩٧٨م ص١٦٢ .

(٤) البناء العروضى للقصيدة العربية ص١٧ .

منها ، وكل هذا هو ما نسميه بموسيقى الشعر[1] ، كما أن لبحور الشعر وأوزانه أثراً فى الأداء وفى قوة الأسلوب وموسيقى العبارة [2] .

وهذه الموسيقى الشعرية التى تحدث عنها النقاد ليست ــ كما يقول الدكتور على عشرى زايد ــ حلية خارجية تضاف إلى الشعر ، وإنما هى وسيلة من أقوى وسائل الإيحاء وأقدرها على التعبير عن كل ما هو عميق وخفى فى النفس مما لا يستطيع الكلام أن يعبر عنه ، ولهذا فهى من أقوى وسائل الإيحاء سلطاناً على النفس وأعمقها تأثيراً فيها .

ويعيب الناقد على النقاد والشعراء العرب القدامى بالموسيقى على أنها قالب محكم صارم يتضمن المعنى أو ينظم الشاعر فيه أفكاره وأحاسيسه وخواطره وليس وسيلة من وسائل الايحاء [3].

ويتفق الدكتور عز الدين اسماعيل مع الرأى السابق فى أن الإطار التقليدى للقصيدة العربية إطار منظم من غير شك ، ونظامه دقيق بلا جدال ، ولكنه كذلك نظام مباشر ظاهر للحواس . . . ، وينكر على الشاعر العربى القديم أن يكون قد راعى التشكيل الزمانى فى شعره ، لأن التشكيل الزمانى للقصيدة ، أى البحر العروضى كان بالنسبة إليه شيئاً ناجزاً [4] .

وتحت عنوان (**الوزن والزمن**) يشير الدكتور جابر عصفور إلى أن حازم القرطاجنى يؤكد على أن القصيدة تتألف من حروف هى أصوات تتضام ، فتكون الأسباب والأوتاد ، والتى تتضام فتكون أجزاء المصاريع ، ثم تنشأ أجزاء البيت وأجزاء القصيدة أو التفاعيل ، وكذلك

---

(1) موسيقى الشعر د/ إبراهيم أنيس ط السادسة سنة١٩٨٨م الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ص٨ ، ص٩ .

(2) الشعراء وانشاد الشعر لعلى الجندى ط دار المعارف ص١٠١ .

(3) عن بناء القصيدة العربية الحديثة ص١٦٢ .

(4) الشعر العربى المعاصر د/ عز الدين اسماعيل ط الخامسة ــ الناشر المكتبة الأكاديمية سنة١٩٩٤ ، ص٧١، ص٤٧ .

الألحان فإنها تتألف من أصوات تتناغم تبعاً لما فيها من وحدة وثقل ، فتشكل بدورها الأسباب الأول والثوانى مكونة أجزاء اللحن ، والعامل المشترك فى الحالتين هو التعاقب فى الزمن [1] .

ويوضح الدكتور صابر عبدالدايم [2] تلك الوحدات الزمنية فيقول : إن العلاقة بين الموسيقى والشعر علاقة عضوية ، فالشعر فى صياغته الفنية يتكون من عدة تفعيلات تمثل وحدات موسيقية تكسب القصيدة نغماً آسراً مؤثراً ، وحين تفقد القصيدة سحر هذا النغم ينقطع ذلك الخيط الفنى الدقيق الذى يشد المتلقى إلى سماع الشعر ، فالشعر نغم وإنشاد .

وتتجلى القيم الصوتية فى النص الشعرى فى ثلاث ظواهر هى: موسيقى الحرف ، وموسيقى الكلمة ، وموسيقى النظم والأسلوب ، ويقصد بموسيقى الحرف : النغم الصوتى الذى يحدثه الحرف وعلاقة هذا النغم بالتيار الشعورى والنفسى فى مسار النص الشعرى ، ولكل حرف مخرج صوتى وصفات ، فهناك أصوات مجهورة ومهموسة وشديدة انفجارية ورخوة وساكنة ولينة ينبغى على الشاعر أن يكون على دراية بها .

ويشير إلى توافر بعض القيم الصوتية فى النص الشعرى لدى أبى تمام فيقول : ونجد أبا تمام يزاوج بين عقلانية وتقاليد الفن الموروثة بتعابير قوية جميلة تكسوها سرابيل من الزينة والزخرف ، ويعتمد فى هذا جميعه على العنصر الصوتى وعلى الايقاع القوى فى مراثيه .

---

(1) مفهوم الشعر . دراسة فى التراث النقدى د/ جابر عصفور ط مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ص٢٩٨ .

(2) موسيقى الشعر العربى بين الثبات والتطور . د/ صابر عبدالدايم ــ الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة ط الثالثة سنة ١٤١٣هـ سنة ١٩٩٣م ص١٦، ص٢٥ ص٢٨، ص٣١ .

ويدلل على موسيقية الحرف لدى أبى تمام فى قصيدته (فتح عمورية) تلك القصيدة التى بلغت أبياتها التى اشتملت على مفردات الزمن عشرين بيتاً [1] .

يقول الشاعر فى مطلعها [2] :ـ

السيف أصدق أنباء من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب

فيقول : اختار الشاعر لقافية قصيدته حرف الباء ، وهذا الحرف له قيمة صوتية موسيقية تناسب جو القصيدة وايقاعها الحماسى الشديد ، فهو حرف شديد مجهور يتفق مع طبيعة التجربة الشعرية لدى الشاعر، ثم إنه يعطى موسيقى فخمة تتفق مع المعنى .

ويدلل على موسيقية الحرف لدى أبى تمام فى قصيدة أخرى له يمدح فيها محمد بن حسان الضبى ، تلك القصيدة التى بلغت أبياتها التى اشتملت على مفردات الزمن خمسة أبيات، والتى يقول فى مطلعها[3] :ـ

ما اليوم أول توديع ولا الثانى البين أكثر من شوقى وأحزانى

فالشاعر قد اختار لقافية القصيدة حرف النون الذى يتفق مع طبيعة تجربة الشاعر التى تدور حول الترحل والبين وهذا الحرف هو صوت أسنانى لثوى أنفى مجهور يكون من طرف اللسان وما فوق الثنايا ، والنون تشبه الحركة فى قوة الوضوح السمعى .

والقافية هنا قافية موحدة تتسم بالغنى الزمنى ، حيث إنها تعطى مساحة زمنية رحبة تتفق مع فكرة الزمن المأساوية التى تقوم عليها القصيدة ، والتى تتناسب مع موضوع القصيدة وتجربة الشاعر فيها ، هذا بالإضافة إلى توافر حروف المد فيها مما يعطى غزارة موسيقية

---

(1) شرح ديوان أبى تمام جـ١ الأبيات هى : البيت رقم ٦ ، ٧ ، ١٣ ، ١٧ ، ١٩،٢١، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ،٣٦ ، ٣٨ ، ٤٠، ٥٤، ٥٦ ، ٥٩، ٦٩ ، ٧٠ .

(2) السابق جـ١ ص١٦ : ص٢٩ .

(3) ديوان أبى تمام جـ٣ ص٣٠٨ والأبيات رقم ١، ٢ ، ٧ ، ١١ ، ١٢ .

وشجناً وألماً للفراق ، كما أنها تعطى جانباً من التنفيس عن الروح ، كما تعطى جانباً من الفن التشكيلى عن طريق الرسم بالحروف المتوازنة والمعتمدة على الاستقامة ، ذلك لأن تجربة الشاعر فى القصيدة تدور حول القلق والضياع والزمن .

ومن القصائد التى بدت فيها موسيقى الحرف قصيدته فى مدح على ابن الجهم وقد جاء يودعه لسفر أراده ، والتى يقول فى مطلعها [1]:ـ

هى فرقة من صاحب لك ماجد فغدا إذابة كل دمع جامد

جاء حرف الدال روياً لهذه القصيدة ، وهو حرف يساعد على الشجن والتنوع والغزارة الموسيقية والإحساس بالبعد والفقد ، وهو حرف يكثر مجيؤه روياً فى الشعر العربى يتسم بأنه صوت أسنانى لثوى إنفجارى مجهور يتذبذب معه الوتران الصوتيان مما يشعر بهزة السفر ورعشة الفراق ، وكسر حرف الدال يتفق مع حالات الإنكسار فى الوداع والفراق .

وثمة قصيدة أخرى تبدو فيها موسيقى الحرف يقول الشاعر فى مطلعها :ـ

كان الذى خفت أن يكونا إنا إلى الله راجعونا

اختار الشاعر لقافيته حرف النون روياً ، وهو حرف يعطى وقعاً موسيقياً حزيناً يعبر عن حالة الفقد والشجى والبكاء والأنين وهو حرف من الحروف الأنفية التى يحبس لها الهواء حبساً تاماً فى موضع من الفم فيتمكن الهواء من النفاذ عن طريق الأنف بحيث يخرج لنا هذا الصوت الأسنانى الأنفى المجهور ، فيحدث بذلك تناغماً واشباعاً موسيقياً يعبر عن حالات الندب والتوجع والألم .

وأما موسيقى الكلمة[2] وخفتها وبعدها عن الثقل وسلامتها من تنافر الحروف فتتلخص فيما حدده الدكتور إبراهيم أنيس حيث يقول إنما

([1]) الديوان جـ١ ص٣٩ .

([2]) موسيقى الشعر د/ إبراهيم أنيس ص٣٠ .

يكون ذلك بندرة تلاقى أصوات الحلق بعضها مع بعض ، وندرة تلاقى الحروف القريبة المخرج أو الصفة ، وذكر المقاييس التى تتعلق بموسيقى الكلمة أو اللفظ وحسن إيقاعه فى سياق النص الشعرى ومنها: أن يكون تأليف تلك اللفظة من حروف متباعدة المخارج ، وأن يكون لتأليف اللفظة فى السمع حسنا ومزية على غيرها وإن تساويا فى التأليف من الحروف المتباعدة .

ويورد أمثلة لهذا المقياس الصوتى لفصاحة الكلمة وموسيقيتها ، كما يورد أمثلة لبعض الكلمات الوحشية والتى تتسم بالتوعر وقبح التأليف والتى يمجها السمع ومنها قول أبى تمام [1]:

بنداك يوسى كل جرح يعتلى رأب الأساة بدردبيس قنطر

وقوله كذلك [2]:ـ

صهصلق فى الصهيل تحسبه أشرج حلقومه على جرس

فالدردبيس، والقنطر: بمعنى الداهية ، والصهصلق من الأصوات : الشديد ، وأشرج : ضم ، ومع ورود مثل هذه النماذج فى شعر أبى تمام إلاّ أن فى ديوانه ألفاظاً وكلمات نرى فيها الموسيقى فى أبدع صورها ففى قصيدة عمورية نرى مفردات الشاعر وموسيقاه تكاد تكون منبثقة لتوها من ساحة المعركة مثل قوله :(بهيم الليل ، الظلمة ، الظلماء ، صبح من اللهب ، جلابيب الدجى ، الشمس ، ضحى شحب ، تصرح الدهر تصريح الغمام يوم هيجاء ، أعصر كمنت) فهذه المفردات الزمنية وغيرها تعطى موسيقى اللون عند الشاعر ، حيث اعتمد على اللونين الأبيض والأسود ومشتقاتهما فى اضفاء المزيد من الظلال والأصداء والإيماء على النص الشعرى لديه .

وأما موسيقى النظم والأسلوب ويقصد بها حسن تأليف العبارة وتنسيقها ، ويوضح الإمام عبدالقاهر الجرجانى هذا اللون من الموسيقى

([1]) الديوان جـ٤ ص٤٥٣ .

([2]) الديوان جـ٢ ص٢٣٩ .

فيقول : " والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التأليف ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب ، فلو أنك عمدت إلى بيت شعر أو فصل نثر فعددت كلماته عداً ، كيف جاء واتفق وأبطلت نضده ونظامه الذى عليه بنى وفيه أفرغ المعنى وأجرى ، وغيرت ترتيبه الذى بخصوصيته أفاد كما أفاد وبنسقه المخصوص أبان المراد . . . أخرجته من كمال البيان إلى مجال الهذيان . . ." [1]

فيشير عبدالقاهر إلى أهمية النسق الخاص بالبيت الشعرى حتى تحدث الموسيقى الخاصة به ، ويسوق أمثلة لأبى تمام يوضح فيها أثر الجناس والسجع فى جمال الأسلوب ونظمه وإيقاعه ، منها قول أبى تمام يمدح أبا الغريب يحيى بن عبدالله:ــ

ما مات من كرم الزمان فإنه يحيا لدى يحيى بن عبدالله

فأشاد بالجناس فى هذا البيت ، وقد وقع بين الفعل (يحيا) وبين اسم الممدوح (يحيى) وهذا يسمى بالجناس المستوفى ، وأشاد بالجناس المطرق الناقص الذى أحدث هزة فى النفس بما يعطيه من أثر معنوى وصوتى وجمالى فى النظم والأسلوب ، وذلك فى قول ابى تمام :ــ

يمدون من أيد عواص عواصم تصول بأسياف قواض قواضب

فالجناس بين كلمتى (عواص جمع عاصية : ويقصد به الضرب بالعصا وبين عواصم أى موانع) وبين كلمتى (قواض من قضى الشئ وبين قواضب : أى قواطع)

ومن جناس الاشتقاق قوله :ــ

ليالينا بالرقمتين وأهلهـا سقى العهد منك العهد والعهد والعهد

فالعهد الأول ما عهد من الأيام ، والثانى الوصية ، والثالث اليمين والرابع المطر ، وهذا يعطى موسيقى الأسلوب والنظم .

([1]) أسرار البلاغة للإمام عبدالقاهر الجرجانى تعليق السيد محمد رشيد رضا ــ دار المطبوعات العربية للطباعة والنشر والتوزيع ص١٤ ، ص١٥ .

ومما تقدم نرى أن أبا تمام استطاع أن يحقق فى شعره الموسيقى بألوانها المختلفة ، موسيقى الكلمة والكلام والأسلوب وظهرت موسيقاه فى أبياته التى اعتمد فيها على مفردات الزمن ريانة بإيقاع الحروف فى الكلمة الواحدة ، وإيقاع الكلمات داخل العبارة الواحدة ، وإيقاع الأسلوب فى البيت الواحد ، وكان يجمع بين الموسيقى الهادئة كقوله :ـ

واهتز ريعان الشباب فأشرقت لتهلل الشجر القرى والبيد

وبين الموسيقى الصاخبة كقوله :ـ

مزمجر المنكبين صهصلق يطرق أزل الزمان من صخبه

ثالثـــاً : المعجم الشعرى لمفردات الزمن عند أبى تمام

كان المعجم الشعرى لأبى تمام فى الزمن ومفرداته كبيـــراً جـــداً ، وكانت صنوفه فيه متعددة ، ومن ثم فإننا نشير بإيجاز إلى بعض النقاط المهمة فى معجمه الشعرى ، وتتمثل فى الآتى :ـــ

ـــ خرج أبو تمام على الاتجاه اللغوى الموروث فكان يغرب فى بعـــض ألفاظه بحيث يبدو كل لفظ وكأنه مـــشكلة معقـــدة تتحـــدى العقـــل والسمع.

ـــ كان ينقل اللفظ من دلالته الأصلية فيثير النقاد حوله ، كقول الآمـــدى معلقاً على بيته :ـــ

رقيق حواشى الدهر لو أن حلمه بكفيك ما ماريت فى أنه بُرد

بأن البرد لا يوصف بالرقة وإنما يوصف بالمتانة والصفاقة ، وقـــد وافقه القاضى الجرجانى وأبو الهلال العسكرى فى رأيه[1] ، ونـــراه يذكر لفظ (الضحى) والمعروف تأنيثها[2] كما فى قوله :ـــ

أصل كبرد العصب نيط إلى ضحى عبـــق بريحان الرياض مطيب

ـــ ويكثر من الجمل الاعتراضية التى تتفق وطريقته التى تقـــوم علـــى مماطلة القارئ[3] كقوله :ـــ

ومن زمن ألبستنيه كأنه ـــ إذا ذكرت أيامه ـــ زمن الورد

ـــ ويقصد باللفظ إلى السخرية [4]، فيقول :ـــ

فضربت الشتاء فى أخدعيه ضربة غادرته عوداً ركوبـــا

ـــ كثرت ألفاظه التى تدور حول المراحل الزمنية فى حياة الإنسان مثل (أمرد ، الفتاء ، الصبا ، الشباب ، المشيب ، الـــشيب ، القتيـــر : الشيب ، الكهولة ، الردى ، الموت) .

---

(1) أبو تمام وقضية التجديد فى الشعر ص١٢٤ .

(2) السابق ص١٢٢ .

(3) السابق ص١٢٩ .

(4) السابق ص١٢٣ .

ـ تباينت ألفاظ الزمن ومفرداته فى أغراض الشعر وموضوعاته ، وكانت على النحو التالى :ـ

أ ـ ألفاظ النهار ومرادفاته (النهار، الصباح ، الضحى ، صبح، أصبح ، مغداك ، غدوة ، عصر ، أصيل ، فجر) .

ب ـ ألفاظ الليل ومرادفاته (الليل ، الإدلاج ، الدجى ، الظلمة ، الظلام ، الظلماء ، أمسى ، البيات ، غروب ، السرى ، السارى ، الدجنة ، التعريس : السير ليلاً) .

جـ ـ ألفاظ فصول العام ومرادفاته (الربيع ، النسيم ، صفر ، رجب ، مصيف ، الشتاء ، الصيف ، الخريف ، رمضان ، الفطر، الأضحى).

د ـ ألفاظ اليوم ومرادفاته (اليوم ، الأيام ، الساعة ، الساعات ، الدهر ، الزمان ، آناء ، عهد ، الحقب ، أعصر ، شهر ، شهور ، حقبة ، الأمس ، الأوان ، حول ، غداً ، الآن ، الأحد ، الثلاثاء ، السنين ، لحظة ، العروبة: يوم الجمعة).

وبعد أن أشرنا بإيجاز إلى بعض النقاط المهمة فى المعجم الشعرى لدى أبى تمام نتحدث بالتفصيل عن مفردة واحدة من هذه المفردات وهى لفظ (الزمن) .

جاء لفظ (**الزمن أو الزمان**) فى ديوان أبى تمام على ثمانى صور ، وهى على النحو التالى :ـ

الصورة الأولى : ما جاء فيها لفظ الزمن أو الزمان فاعلاً ، وهى فى واحد وعشرين نموذجاً ، جاء فى غرض المدح فى ستة عشر نموذجاً ، وفى الهجاء نموذجان ، وفى الرثاء نموذجان ، وفى الغزل نموذج واحد .

فنماذج المدح هى قوله (أعوج الزمان[1] ، فلا يبعد زمان[2] ، قسم الزمان[3] ، أشلى الزمان[4] ، لحظ الزمان[5] ، نحس الزمان[6]، يلقانى الزمان بإعظام[7] ، ألقى الزمان[8] ، سكن الزمان[9] ، سكن الزمان لها[10] ، ما أنصف الزمن[11] ، لبس الزمان الصوفا[12] ، صدَّ الزمان بوجهه[13] ، يوم أضاء به الزمان[14] ، ظلم الزمان[15] ، طرق الزمان[16]) .

ونموذجا الرثاء (عاق الزمان رضيع الجود[17] ، لا يأتى الزمان بمثله[18]) ونموذجا الهجاء (حرن الزمان[19] ، اسود الزمان[20]) ونموذج الغزل (خاننى فيك الزمان[21]) وجاء فاعلاً لاسم الفاعل فى قوله (متوقد منه الزمان[22]) .

والصورة الثانية : ما جاء فيها لفظ الزمن أو الزمان مفعولاً به ، وهى فى أربعة نماذج جاءت كلها فى غرض المدح ونماذجها (ألقى الزمان مسالماً[23] ، ويثنى الزمان عن ثوبه[24] ، ردعوا الزمان[25] ، لم يظهر زماناً[26]) .

والصورة الثالثة : ما جاء فيها لفظ الزمن أو الزمان مضافاً إليه، وهى فى سبعة وعشرين نموذجاً ، جاء الزمن مضافاً إليه فى غرض

([1] : [8]) شرح ديوان أبى تمام جـ١ صـ٣٤ ،١٥٢، ١٧١ ، ٢٠٥ ، ٣٢٧ ، ٣٣٢ ، ٣٤٧ ، ٤١١ .

([9] : [16]) الديوان جـ٢ صـ ١٩٧ ، ٢٦٧ ، ٣٠٣ ، ٣٨٠ ، جـ٣ صـ ١١٩ ، ١٣٩ ، ٢١٤ ، ٢١٥ .

([17] ، [18]) الديوان جـ٤ صـ٧٨ ،١٠٢ .

([19] : [20]) الديوان جـ٤ ص٣٢٨ ، ص٣٩٧ .

([21]) الديوان جـ٤ صـ٢٣٨ .

([22]) شرح الديوان جـ١ ص٢٦٠ .

([23] : [26]) شرح الديوان جـ١ صـ ٤٤ ، ١٣٥ ، ١٧٦ ، ٣٨٥ .

المدح فى أربعة وعشرين نموذجاً هى (قبل الزمان [٢٧] ، زمام زماننا[٢٨] ، برغم الزمان[٢٩] ، حدَّ الزمان[٣٠]، أهوال الزمان[٣١]، أزل الزمان[٣٢] ، أحداث الزمان[٣٣] ، ملمات الزمان[٣٤] ، خطوب الزمان[٣٥]، أولى الزمان [٣٦] ، يبس الزمان[٣٧] ، صروف الزمان[٣٨] ، شغب الزمان [٣٩] ، هيهات ريب الزمان[٤٠] ، سيبدأ بى ريب الزمان[٤١] ، بطن الزمان[٤٢] ، عادية الزمان[٤٣] ، صرف الزمان[٤٤] ، عود الزمان[٤٥] ، لأعجاز الزمان[٤٦] ، كبد الزمان[٤٧]، صروف الزمان[٤٨] ، نور الزمان[٤٩] ، أيام الزمان[٥٠]) .

وجاء الزمن مضافاً إليه فى غرض الوصف فى نموذجين هما : (غرب الزمان[٥١] ، يُمنى الزمان[٥٢]) ، وجاء الزمن فى المعاتبات فى نموذج واحد هو (حرب الزمان[٥٣]) ، ولم يرد الزمن مضافاً إليه فى أغراض الرثاء والغزل والهجاء .

والصورة الرابعة :هى ما جاء فيها لفظ الزمن أو الزمان مضافاً، وهى فى نموذجين فى غرض المدح هما (زمان غضارتى [٥٤] ، زمن الورد[٥٥]) ولم يرد مضافاً فى الأغراض الأخرى عند الشاعر .

([٢٧]: [٤٤]) شرح الديوان جـ١ صـ١٢ ، ٣٥ ، ٧١ ، ٨٧ ، ١١٤ ، ١٣٨ ، ١٦٦، ١٦٦ ، ٢١٩ ، ٢٥٥ ، ٢٦٩ ، ٢٩٥ ، ٣٣٠ ، ٣٤٧ ، ٣٥٣ ، ٣٥٧ ، ٤٠٥ ، ٤٣٠ .

([٤٥] : [٤٨]) الديوان جـ٢ صـ١٦٧ ، ٢٧٣ ، ٣٨٣ ، ٤٠٤ .

([٤٩] :[٥٠]) الديوان جـ٣ صـ٢٨١ ، ٣٢١ .

([٥١]،[٥٢]) الديوان جـ٤ صـ٥٠٢ ، ٥٢٦ .

([٥٣]) الديوان جـ٤ صـ٤٥٢ .

([٥٤]، [٥٥]) شرح الديوان جـ١ صـ١٢ ،٣٨٥ .

والصورة الخامسة : هى ما جاء فيها لفظ الزمن أو الزمان مجروراً بحرف الجر ، وهى فى تسعة نماذج فى غرض المدح وهى (من الزمان وجوره [٥٦] ، بظفر للزمان[٥٧]، فى الزمان المذنب [٥٨] ، وهانئ للزمان[٥٩]، فى زمن وغد[٦٠] ، شكوت إلى الزمان[٦١]، على الزمن الخيار[٦٢]، فى الزمن الغابر[٦٣] ، فى الزمان المجحف[٦٤]) ولم يرد مجروراً بحرف الجر فى الأغراض الشعرية الأخرى .

والصورة السادسة : هى ما جاء فيها لفظ الزمن أو الزمان اسماً للفعل (كان) وهو فى نموذج واحد فى غرض المدح وهو (كان الزمان بكم كلباً[٦٥]) ولم يرد فى الأغراض الشعرية الأخرى .

والصورة السابعة : هى ما جاء فيها لفظ الزمن أو الزمان خبراً للفعل (كان) وهو فى نموذجين فى غرض المدح هما (كان زماناً يلاعبه[٦٦] ، كان زماناً غير مقدد[٦٧]) ولم يرد فى الأغراض الشعرية الأخرى .

والصورة الثامنة : هى ما جاء فيها لفظ الزمن أو الزمان مبتدأ وهو فى أربعة نماذج ، النموذج الأول فى غرض المدح وهو (زمان حسيب[٦٨])، والثانى فى غرض الرثاء وهو (الزمان بدت أنيابه[٦٩])، والثالث فى غرض الهجاء وهو (الزمان بأهله متنقل[٧٠]) والرابع فى غرض المعاتبات وهو (الزمان انثنى عنى بغمته[٧١]) .

([٥٦] : [٦١]) شرح الديوان جـ ١ صـ ١٣ ، ٤٨ ، ٨٦ ، ١٤٢ ، ٣٩٣ ، ٤١٠ .

([٦٢] : [٦٤]) الديوان جـ ٢ صـ٥٣ ، ١٦٢ ، ٣٩٧ .

([٦٥]) الديوان جـ٢ ص١٩٠

([٦٦]،[٦٧]) شرح الديوان جـ١ صـ ١١٦ ، ٤٥١ .

([٦٨]) شرح الديوان جـ١ صـ٩٠ .

([٦٩] :[٧١]) الديوان جـ٤ صـ ١٢٢ ، ٤١٩ ، ٤٩١ .

ولم يرد مبتدأ فى أغراض الزهد والفخر والوصف والغزل .

ونلحظ من خلال النماذج السابقة كلها أن الشاعر جعل للزمان أوصافاً ، منها ما يدل على مدحه كقوله (زمان غضارتى ، زمن الورد ، نور الزمان) ومنها ما يدل على ذمه كقوله (الزمان المذنب ، الزمان الوغد ، الزمان الغابر ، الزمان المجحف ، الزمان بخيل) ونسبت إليه ألفاظ تدل على النوازل والكوارث مثل (أهوال الزمان ، أحداث الزمان ، ملمات الزمان ، خطوب الزمان ، يبس الزمان ، صروف الزمان ، شغب الزمان ، ريب الزمان ، عادية الزمان ، حرب الزمان) ، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على ما كان يتمتع به أبو تمام من ثقافة واسعة وقدرة على تطويع تلك المفردات الزمنية فى موضوعات الشعر وأغراضه .

الخاتمـــة

وبعد العرض السابق للزمن فى شـــعر أبـــى تمـــام نـــوجز أهـــم استنتاجات البحث فيما يلى :ـــ

١ـــ تعددت مسميات الزمن فى معاجم اللغة وعند الأدبـــاء والعلمـــاء ، فكان هناك ما يسمى بالزمن الموضوعى والزمن الذاتى ، والـــزمن الدائرى ، والزمن الخطى .

٢ـــ كثرت مفردات الزمن فى شعر أبى تمام حتى بلغت أكثر من ثلاث وثلاثين مفردة ، وكانت أحد الروافد المهمة للمعجم الشعرى لديـــه ، وقد استطاع من خلالها التعبير عن انفعالاته وأحاسيسه الداخلية .

٣ـــ تعددت مراحل تحول الزمن فى وجدان أبى تمام ، فكانـــت هنـــاك مرحلة الطفولة ، ومرحلة الصبا ، ومرحلـــة الـــشباب ، ومرحلـــة المشيب ، ومرحلة الكهولة ، وقد كثرت نماذج الشاعر فى مرحلتى الشباب والمشيب ، وقلت نماذجه فى المراحل الزمنيـــة الأخـــرى ، وجاءت نماذج شعره فى الشباب كثيرة فى مدحه وقليلة فى البكـــاء على انقضائه .

٤ـــ كان الشاعر يشعر بين الحين والحين بأن الموت قريب منـــه بـــل حوله وفى داخله ، حيث كان يعانى من مـــرض الكلـــى ، وكانـــت أسرته معطوبة ومكلومة مما جعل مفردات الزمن تكثر فى قـــصائد الرثاء لديه .

٥ـــ قل مدح الشاعر للمشيب ، وزاد ذمه له والضجر منه ، وتعـــددت لديه دواعى الشيب المبكر ممثلة فى كثرة الهموم والمحن والخطوب وأهوال الدهر وأحواله وتفاقم الحوادث وشدة الحروب وقـــد دافـــع الشاعر عنه فى نماذج قليلة عبرت عن كونـــه واعظـــاً للإنـــسان وزاجراً له ، وناهياً عن الصبابة والغـــوانى ، وكاشـــفاً زيـــف مـــا يصنعه الخضاب فى المفارق من خداع وزيف وتضليل .

٦ــ لم بتحدث الشاعر كثيراً عن مرحلة الصبا والفتاء لأنه كان دائم الترحال ، فلم يعرف حينئذ الاستقرار حتى ينعم بهذه المرحلة ، ولم يتحدث كثيراً عن مرحلة الكهولة لظنه أن الموت يحاصره حصاراً شديدا .

٧ــ تناثرت مفردات الزمن فى أغراض شعر الشاعر وموضوعاته الشعرية ، وتباينت تبايناً ملحوظا، فقد شاعت شيوعاً كبيراً فى أغراض المدح والرثاء والوصف والعتاب والهجاء ، وقلت فى الغزل والفخر والزهد .

٨ــ كان لأبى تمام منهج خاص فى مدح ممدوحيه ، فلم يقف عند مدح الملامح الجسدية أو النفسية لديهم وإنما وقف يمدح المثل العليا التى يتحلون بها ، وقد اختار ممدوحيه اختياراً حسناً حتى لا تكون مشاعره وأحاسيسه يغلفها الكذب والزيف .

٩ــ لم تكن أبيات أبى تمام فى الغزل والتى استعان فيها بالزمن ومفرداته ــ فى أغلبها ــ ريَّانة بالحب ، ولم يستطع أن يسبح فى بحر هذا الفن الشعرى أو يترنم به كما فعل أمثاله من شعراء عصره ، ولم تكن لديه لهفة عارمة أو حنين جارف أو مشاعر فياضة أو عاطفة متقدة .

١٠ــ جاء هجاء الشاعر على لونين الأول هجاء خالص وقد وجهه للروم ومن يريد زعزعة الأمة آنذاك ، وهجاء غير خالص جمع فيه بين الهجاء وبعض الأغراض الشعرية الأخرى كالمدح والعتاب.

١١ــ خرجت نماذج الوصف المتكئة على مفردات الزمن استجابة لعواطفه وطوعاً لمشاعره وأحاسيسه وتناول فى وصفه الطبيعة جوانب الجمال والقسوة فيها .

١٢ــ اهتم الشاعر من ألوان البيان بالاستعارة والتشبيه اهتماماً كبيراً ، واستطاع أن ينقل استعارته من معناها اللغوى إلى معنى أوسع

وأرحب مما يسمى بالاستعارة الجمالية ، واستخدم لونين من التشبيهات ، الأول هو ذاك الذى يطرقه غيره من الشعراء حيث السهولة فى كشف المقصود والمراد من التشبيه ، والثانى هذا اللون الخفى المضمر الذى لا يصل إلى كنهه إلا ذوو الذوق البيانى الجميل .

هذا بالإضافة إلى تناثر بعض مفردات الزمن فى ألوان أخرى بيانية وبلاغية كالكناية وحسن التقسيم .

١٣ ــ بدت القيم الصوتية فى النص الشعرى لدى أبى تمام فى موسيقى الحرف وموسيقى الكلمة وموسيقى النظم والأسلوب ، واستطاع الشاعر أن يزاوج بين عقلانية وتقاليد الفن الموروثة وبين تعابير قوية جميلة تكسوها سرابيل من الزينة وذلك من خلال العنصر الصوتى والإيقاع الموسيقى .

١٤ــ كان المعجم الشعرى لأبى تمام فى الزمن ومفرداته كبيراً جداً وتعددت فيه صنوفه واتجاهاته مما يشير إلى ثقافته الواسعة وقدرته على استخدام تلك المفردات فى موضوعات شعره وأغراضه .

والحمد لله أولاً وآخرا

الدكتور / عاطف عبداللطيف السيد أحمد
الأستاذ المساعد
فى كلية اللغة العربية بالزقازيق

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر

ـ القرآن الكريم .

١ـ أخبار أبى تمام لأبى بكر الصولى ط المكتب التجارى للطباعة والتوزيع بيروت سنة ١٩٦٠م .

٢ـ أسرار البلاغة للإمام عبدالقاهر الجرجانى تعليق السيد محمد رشيد رضا ـ العربية للطباعة والنشر والتوزيع .

٣ـ الأعلام لخير الدين الزركلى ط الثالثة .

٤ـ تاريخ الخلفاء للسيوطى ط سنة ١٣٠٥هـ .

٥ـ تاريخ الطبرى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط الرابعة بدون ـ دار المعارف .

٦ـ ترتيب القاموس المحيط للطاهر أحمد الزاوى ط٢عيسى البابى الحلبى .

٧ـ خزانة الأدب للبغدادى ، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٩/م

٨ـ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى تحقيق لجنة إحياء التراث العربى فى دار الآفاق الجديدة ـ منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت .

٩ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق د/ مفيد قميحة دار الكتب العلمية بيروت .

١٠ـ العمدة فى صناعة الشعر ونقده تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد دار الجبل ـ بيروت .

١١ـ لسان العرب لابن منظور ، ط دار المعارف .

١٢ـ اللطائف والظرائف واليواقيت فى بعض المواقيت لأبى منصور الثعالبى ، جمع أبى النصر المقدسى القاهرة ، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح سنة ١٣٣٤ هـ .

١٣ــ مختار الصحاح للرازى ط عيسى البابى الحلبى .
١٤ــ المصباح المنير للمقرى تحقيق د / عبدالعظيم الشناوى ط دار المعارف .
١٥ــ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص للشيخ عبدالرحيم بن أحمد العباسى تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ــ عالم الكتب بيروت .
١٦ــ المقتضب لأبى العباس المبرد تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ــ القاهرة ــ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ لجنة إحياء التراث الإسلامى سنة ١٩٦٦ م
١٧ــ الموشح للمرزبانى تحقيق محمد على البجاوى ــ نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .
١٨ــ نقد الشعر لقدامة بن جعفر تحقيق وتعليق د / محمد عبدالمنعم خفاجى ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت لبنان.

ثانياً : الدواوين

١ــ ديوان ابن شرف القيروانى تحقيق د / حسن ذكرى حسن ــ نشر مكتبة الكليات الأزهرية .
٢ــ ديوان ابن معتوق ط دار صادر بيروت بالمطبعة الأدبية سنة ١٨٨٥م .
٣ــ ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى تحقيق محمد عبده عزام ط دار المعارف بمصر سنة١٩٧٥م .
٤ــ ديوان أوس بن حجر تحقيق وشرح د/ محمد يوسف نجم ط٣ دار صادر بيروت سنة ١٩٧٩م .
٥ــ ديوان البهاء زهير ــ دار بيروت للطباعة والنشر .
٦ــ ديوان حاتم الطائى. تحقيق د/ مفيد محمد قميحة ــ منشورات دار ومكتبة الهلال ــ بيروت ط أولى سنة ١٩٨٤م .

٧ــ ديوان حميد بن ثور الهلالى ، صنعه أ / عبدالعزيز الميمنى رئيس قسم اللغة العربية بجامعة علبكرة بالهند ــ مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٧١هـ سنة ١٩٥١م.
٨ــ ديوان الخنساء ــ دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م .
٩ــ ديوان الشافعى تحقيق د / محمد عبدالمنعم خفاجى ط٢ سنة ١٤٠٥هـ سنة ١٩٨٥م الناشر مكتبة الكليات الأزهرية.
١٠ــ ديوان ظافر الحداد تحقيق د / حسين نصار ــ ط دار مصر للطباعة ــ الناشر مكتبة مصر بالفجالة .

ثالثاً : المراجع

١ــ أبو تمام وقضية التجديد فى الشعر د / عبده بدوى ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٥ .
٢ــ الأسلوب لأحمد الشايب ط الثامنة مكتبة النهضة المصرية
٣ــ البناء العروضى للقصيدة العربية د/ محمد حماسة عبداللطيف ط أولى سنة١٤٢٠هـ سنة١٩٩٩م .
٤ــ البناء الفنى للصورة الأدبية فى الشعر د / على على صبح ط سنة ١٤١٦هـ سنة ١٩٩٦م الناشر المكتبة الأزهرية للتراث .
٥ــ التفسير النفسى للأدب د/ عز الدين إسماعيل مكتبة غريب .
٦ــ دائرة المعارف الإسلامية ط السادسة سنة ١٤١٨هـ سنة ١٩٩٨م مركز الشارقة للإبداع الفكرى .
٧ــ الزمن بين الفلسفة والفن تأليف عبير صلاح الدين ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة٢٠٠٧م .
٨ــ الزمن الوجودى : لعبدالرحمن بدوى ، مكتبة النهضة المصرية ط الثانية سنة ١٩٥٥ م .
٩ــ شرح ديوان أبى تمام لمحمد محيى الدين عبدالحميد ــ الناشر مكتبة صبيح .

١٠ــ شرح ديوان أبى نواس ضبط معانيه وشروحه وأكملها إيليا الحاوى ــ منشورات دار الكتاب اللبنانى ــ بيروت لبنان ط أولى سنة ١٩٨٣ .
١١ــ شرح المعلقات السبع للزوزنى مكتبة النقاء العراق بغداد شارع المتنبى.
١٢ــ شروح سقط الزند لأبى العلاء المعرى القاهرة ــ الدار القومية للطباعة والنشر سنة ١٣٨٣ هـ سنة ١٩٦٤م .
١٣ــ الشعراء وانشاد الشعر لعلى الجندى ط دار المعارف .
١٤ــ الشعر العربى المعاصر د/ عز الدين اسماعيل ط الخامسة ــ الناشر المكتبة الأكاديمية سنة١٩٩٤ .
١٥ــ الصورة الأدبية د/ مصطفى ناصف ط٣ دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع سنة ١٩٨٣.
١٦ــ علم نفس الأدب د/ مصرى عبدالحميد حنورة دار غريب للطبع والنشر والتوزيع ــ القاهرة .
١٧ــ عن بناء القصيدة العربية الحديثة د/ على عشرى زايد ــ دار الفصحى للطباعة والنشر ــ القاهرة سنة١٩٧٨م.
١٨ــ فصول فى الشعر ونقده د/ شوقى ضيف ط دار المعارف ــ القاهرة ط الثالثة .
١٩ــ فى النقد الأدبى د / شوقى ضيف ط الرابعة دار المعارف بمصر .
٢٠ــ قضية الزمن فى الشعر العربى د / فاطمة محجوب ط دار المعارف
٢١ــ مدارس النقد الأدبى الحديث د/ محمد عبدالمنعم خفاجى ــ الناشر الدار المصرية اللبنانية .
٢٢ــ مفهوم الشعر دراسة فى التراث النقدى د/ جابر عصفور ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٢٣ــ الموازنة بين الشعراء لزكى مبارك ط الثالثة سنة ١٩٧٣ مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده .
٢٤ــ موسيقى الشعر د/ إبراهيم أنيس ط السادسة سنة١٩٨٨م الناشر مكتبة الأنجلو المصرية.
٢٥ــ موسيقى الشعر العربى بين الثبات والتطور . د/ صابر عبدالدايم ــ الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة ط الثالثة سنة ١٤١٣هـ سنة ١٩٩٣م .
٢٦ــ نظرات فى الأدب والنقد لعبدالرازق البصير سلسلة كتاب العربى ــ الكتاب الثامن والعشرون سنة١٩٩٠ م .
٢٧ــ نقد كتاب الموازنة بين الطائيين د/ محمد صالح ط٢ سنة١٤٠٨ دار الكتاب العربى بيروت .
٢٨ــ الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية لحسين المرصفى تحقيق د/ عبدالعزيز الدسوقى ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة١٩٨٢م .